الأمة الإسلامية: بين ولاية الفقيه وولاية السفيه

الهجوم والهجوم المضاد

تأليف/ الدكتور وسيم فتح الله

إهداء

إلى

الأمة الإسلامية

العظيمة

الأمة الإسلامية: بين ولاية الفقيه وولاية السفيه

الهجوم والهجوم المضاد

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة السلام على رسول الله الصادق الأمين، أسوة المؤمنين، وقائد المجاهدين، وإمام الغُرِّ المحجَّلِين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومَن سار على نهجهم واتبع سنتهم إلى يوم الدين، وبعد،

إن التدافعَ بين الحق والباطل سنةٌ كونيةٌ شرعيةٌ، وضعها الله تعالى بحكمته ابتلاءً وتمحيصاً للبرية، فالمؤَفق مَن كان في صف الأنبياء والأولياء والمؤمنين، والمخذول الهالك مَن كان في صف إبليس وأولياء الشياطين، ولا تزال هذه سنة الله في خَلقِه حتى يهلك مَن هلك عن بَيِّنة، ويحيا مَن حيَّ عن بَيِّنة. وإن العبد بين هذين الفريقين مكلفٌ بالنظر في أوامر الله الشرعية وتبوُّءِ المكان اللائق بمقام الانقياد والعبودية، وليس له من هادٍ في خضم الفتن سوى الكتاب والسنة، وليس له من نجاةٍ إلا بالاعتصام بهما، والعودة إليهما من خلال تدبر آيات الله في كتابه، وهدي النبي ﷺ في سنته، ونهج الصحابة رضوان الله عليهم في العمل بهما، لكي تبرأ ذمةٌ العبد بتعاطي أسباب طاعة الله ورسوله ﷺ، وبذلِ غاية الجهد في تحقيق مقام العبودية التامة لله عز وجل، والمتابعة الخالصة لرسوله ﷺ في سياق التعامل مع تلك الفتن والمحن، والله المستعان.

ولا يخفى ما تتعرض له الأمة الإسلامية اليوم من صراعٍ عنيفٍ وفتنةٍ هوجاء فتنت أهل الحق عن الحق، وأذهلت بغرورها أهل الباطل حتى استطالوا صَلَفاً وكِبراً وطغياناً على أهل الحق. غير أن استطالة أهل الباطل في أهل الإسلام وديار الإسلام ما كانت لِتتحقق لهم إلا بأسبابٍ داخلية في هذه الأُمّة قابلةٍ لهذا الضعف والاستطالة، ولم يكن المسلمون لِينهضوا في وجه هذا العدو الشرس قبل تنقيحِ هذه الأسباب الداخلية والتعامل معها على منهاج القرآن والسنة؛ **فأسباب هزيمتنا اليوم أسبابٌ داخلية فردية وجماعية**، ولا بد من نهضةٍ وثورةٍ إسلامية تصحح هذين العاملين– الفردي والجماعي – لتستقيم بإذن الله الأسبابُ السياسية الشرعية لنهضة الأمة، وتصديها للهجوم الخارجي الشرس الذي يستهدف وجودها استهدافاً كلياً، **استهدافاً يريد إصابة الأمة الإسلامية بمقتلٍ في عقيدتها، في هويتها، في فكرها، في حضارتها، في أخلاقها، في دمائها، في أعراضها، في أموالها، في أحلامها وفي آمالها**، لِتُرَوِّجَ أمم الكفر بعد ذلك باطلها وإفكها وكفرها وفسقها، موهمةً الأمة الإسلامية أن في ذلك الباطل والإفك والكفر والفسق شفاءَ أسقامها وأدوائها وآلامها، والله تعالى المستعان.

ولقد فتح الله تعالى بالنظر في مشهدٍ قرآنٍ عجيبٍ قد حفظ لنا كيفية التعامل مع واقعٍ مماثل لواقع الضعف والهزيمة الداخلية للأمة الإسلامية أمام طاغوت الكفر ودولته العظمى آنذاك، وبين لنا كيفية إحداث مثل هذه الثورة الإسلامية الكبرى رغم

واقع الوهن والاستضعاف، وهو مشهدٌ يجمع عناصر المشهد المعاصر الذي يعصف بالأمة اليوم كما سأبين بإذن الله تعالى، فعزمت على تحرير ذلك في هذه الرسالة المختصرة، عسى أن يكون في تدبر هذا المشهد واستنباط ما أمكن من عناصر التغيير والعمل الجاد منه ما يكون زلفى إلى الله جل في علاه، وسبباً من أسباب الفتح بيننا وبين القوم الظالمين، راجياً بذلك أن أدور ما بين الأجرين إن وفقت لإصابة الحق أو الجر الواحد إن كانت الثانية، وداعياً الله ربي وراجياً إياه أن يستعملني ومَن صدق الله ممن يقرأ هذه الأحرف في تحقيق وعد الله بالنصر والتمكين لهذه الأمة العظيمة، أمة خاتم المرسلين مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم، إنه أعظم مأمول وأكرم مسؤول.

1.موسى وهارون عليهما السلام في مواجهة النظام الطاغوتي الكبير:

قال الله تعالى: (**ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ (45) إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْماً عَالِينَ (46) فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ (47) فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنْ الْمُهْلَكِينَ (48) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (49) وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ (50) يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (51) وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ (52) فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُراً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (53)**[1]؛

إن المتأمل في عناصر هذا المشهد القرآني لَيدرك معجزة القرآن الخالدة في مناسبة منهج القرآن لعلاج كل انحراف، والتعامل الواقعي مع كل مشكلة تواجه المكلف في حياته، ولَيستلهم مِن فهم القرآن أسباب الشفاء من كل داء، مهما بَعُد زمن الواقع عن زمن التنزيل، ومهما توهم وأوهم المرجفون تعطّلَ القرآن عن صلاحية التعامل مع نوازل الزمان والمكان.

فها هي أمةٌ مستعبدة، استبد بها طغاتها، واستخف فيها الشعب بنفسه فعبَّدها لطاغوت الحاكمية البشرية، حتى إذا جاء رسلُ الله يدعون العباد إلى التحرر من عبادة العباد والدخول في عبادة رب العباد، صدَّق الطاغوتُ كذبتَه، وظن أنه ربُّ الشعب، ووجد الشعبُ نفسَه واهناً عن تلقي الرسالة لِطول ما ران على قلبه من ذل عبادة المخلوقين، فإذا بالقرآن العظيم والفرقان المبين يحرر عناصر منهج النجاة وطريق الاستنقاذ للخروج بالأمة حكومةً وشعباً من مقت استعباد المخلوق للمخلوق، فيبيَّن أن **منهاج الأمة الربانية يقوم على ركيزتين شرعيتين هما:**

العلمُ، والعلماء العاملين بهذا العلم،

وبيَّن **أن منهاج بناء الدولة يقوم على ركيزتين كونيتين هما:**

الأمن والغذاء.

وبيّن أن **أمر الله للمكلفين بالاجتماع العلمي والعملي** إنما يقوم على أساس:

الأمة الإسلامية الواحدة،

وبيَّن أن **عاقبة المخالفين المخذولين ممن تفرقوا عن أمر الله** إنما هو:

التشرذم إلى أحزاب شهوانية دنيوية ظاهرها الفرح وباطنها النكد، بداياتها الضحك ونهاياتها البكاء والحزن.

[1] سورة المؤمنون 45-53

2. قومهما لنا عابدون:

لقد استُعبدت الأمة الإسلامية اليوم – بعد أن تم تمزيق جسدها بإسقاط الخلافة الإسلامية، واستبدال الذي هو أدني وهو الدولة القُطرية الوطنية بالذي هو خير وهو الدولة الإسلامية — استُعبدت الأمة الإسلامية بعد ذلك بأنموذجين خطيرين من نماذج السيطرة السياسية يمثلان خرماً لكلٍ من الركيزتين الشرعيتين لقيام الأمة ووحدتها ألا هما ؛ **العلم والعاملون به.**

فأما **الأنموذج الأول** فيمثله **أنموذج الحكم الكهني** الذي فرضته فارس تحت ستار بدعة الإمامية الإثني عشرية، فاستعبدت شعبها بحاكمية ولي الفقيه المبتدعة[2]، أي النائب عن الإمام الثاني عشر الغائب، وأحدثت **بنظرية ولاية الفقيه** خللاً عِلمياً عظيماً في عقيدة الأمة، تفرقت بها في شُعب الأهواء واجترأت به على حرمة الأعراض والدماء، وهي تحاكي بفسادها العقدي أنموذج الكنيسة البابوية الكاثوليكية الذي استعبد أوروبا ردحاً من الزمن فانتهى بها إلى لفظ الدين جملةً وتفصيلاً، وتفضيل بهيميتها الإلحادية المعاصرة عليه...

وأما **الأنموذج الثاني** فيمثله **أنموذج الحكم الهرقلي** الذي فرضته مشيخة العرب على قبائلها وشعوبها على طريقة المناذرة والغساسنة، فاستعبدت هي الأخرى شعوبَها بحاكمية السلطان السفيه المتقوي بإسناد الأجنبي الغاصب، وأحدثت **بنظرية طاعة السلطان المطلقة** خللاً عَمَلِياً عظيماً في منهج اجتماع الأمة الإسلامية، خللاً أدى إلى وهنٍ في لُحمتها ونسيجها كأمة واحدة، فإذا به يمزق اجتماعها بتشرذمات هزيلة يطوف كل منها على حدة حول كرسي ولي الأمر، وعرش الحاكم المقدَّس في وثنيةٍ عجيبةٍ لا تقل عن وثنية عُبّاد اللات والعزى.

وكان نتيجة ما تقدم أن **أصبحت الأمة الإسلامية اليوم ممزقةً ما بين مضيّع لعقيدته تحت لواء كهانة نائب الفقيه، ومضيعٍ لرجولته تحت لواء طغيان السلطان السفيه**، وما بين هؤلاء وهؤلاء مسلمون غيورون يقبضون على عقيدة الإسلام قبض اليد على الجمر، ويجاهدون لإقامة سلطان الله في الأرض، وتعبيد الخلق للخالق، ووضع الحاكم في مكانه الصحيح من خلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا به[3]، خلافاً لما عليه لصوص العقيدة وسفهاء السلاطين من حراسة الأهواء والدنيا وسياسة الدين بها، وأما من رضي بحاكمية الكهان وقدسية السلطان فهم "الشعب" الخانع الذين عناهم فرعون وملأ فرعون بقولهم الذي حكاه عنهم القرآن الكريم: **(فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ)**[4] حين استكبروا عن رسالة رب العالمين، وأبوا الانقياد في عبودية الخالق والاحتكام إلى شريعته، كيف وقد وجدوا الشعب يعبدهم ويقدسهم ويسبح بحمدهم ليل نهار...

---

[2] والمفارقة العجيبة أن نظرية ولاية الفقيه مبتدعة في فرقة الإمامية الإثني عشرية نفسها

[3] هذه العبارة من تعريف الإمام الماوردي لعقد الإمامة وأنه موضوع:"لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا به" (كتاب الأحكام السلطانية)

[4] سورة المؤمنون - 47

إن المتأمل في هذا الوصف القرآني العجيب **(وقومهما لنا عابدون)** لَيدرك موطن الداء ومقصد الدواء معاً؛ فموطن الداء الخنوع الذاتي في نفوس الأفراد والعبودية الذاتية في أشباح الجماعات المؤلفة من مثل هذه الأفراد، ولذلك كان مقصد الدواء تنبيه هذه النفوس على عزتها بدين الله، وتنبيه هذه الجماعات على كبريائها بدين الله، **وهذه هي بداية الثورة الإسلامية الكبرى، إنها الثورة على ذل الأفراد ببث العلم بعقيدتها الصحيحة، والتمرد على خنوع الجماعات بنشر العمل بالعلم الصحيح...**

3. تبديد مقدرات الأمة:

لقد أمعنت هذه الثنائية الطاغوتية، أعني **الثنائية الكهنية الهرقلية**، التي استعبدت الأمة الإسلامية في تعطيل أسباب نهوض الأمة أيما إمعان، وذلك حيث أضافت إلى الإخلال بالركيزتين الشرعيتين لنهوض الأمة الإسلامية **استنزاف وتعطيل الركيزتين الكونيتين لقيام دولة الأمة** وهما اللتان أشارت إليهما الآية الكريمة : **(وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ)**[5]، وهاتان الركيزتان هما **الأمن والغذاء**؛ ويتضمنان كل ما يندرج تحتهما مما هو في معناهما.

فإن أي أمة تحتاج لقيامها وبنائها إلى رقعة جغرافية يستتب فها الأمن، وإلى موارد تتوفر فيها عناصر النماء البشري، كي تستطيع هذه الأمة أن تعمر الأرض، وتتمكن من إقامة دين الله على الوجه الذي أمر الله به عباده حيث قال عز وجل: **(الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنْ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ)**[6]؛

- **فإذا بالأنموذج الكهني يبدد ثروات الأمة في تغذية النزاعات ما بين المسلمين** تحت ذريعة استقطابٍ طائفيٍ مقيتٍ قد برع أعداء الإسلام الأصليين في توظيفه لنخر جسد الأمة، كما تفعل المنظومة الصهيوصليبية اليوم من خلال جعل هذا الاستقطاب الطائفي عنواناً "عَقَدياً" لاستقطاباتٍ إقليمية تعيد اصطفاف جزء من الأمة الإسلامية (تحت عنوان العالم العربي السني) مع أعدائها الصهيانة الصليبيين – متمثلاً في هذه المرحلة في الاصطفاف العلني والتطبيعي الشامل مع الكيان الصهيوني الغاصب – ضد الجزء الآخر من الأمة (تحت عنوان العالم الشيعي) الذي يقبع تحت سلطانه نسبة مهمة من الشعوب المسلمة[7]، والذي يحمل زوراً شعار مقاومة الصهيوصليبية،

---

[5] سورة المؤمنون - 50

[6] سورة الحج - 41

[7] لا تقل فداحة الأمر بالنسبة للشعوب المسلمة التي ترزح تحت نير النظام الكهني في فارس عنها بالنسبة لشعوب المسلمة التي ترزح تحت نير النظام الهرقلي في غيرها، وعلينا أن لا ننساق وراء وهم معاملة شعوب (العالم الشيعي) معاملة الخارجين من الملة، بل نعاملهم معاملة شعوب العالم السني التي تتنوع أحوالها ما بين الجهل والقهر والتواطؤ مع أنظمة الجور الجاثمة على صدورها، بحيث لا يصلح لها حكم واحد يتنزل على مجموع أفرادها، بل لا بد من التفصيل الذي يهدف إلى استنقاذ أكبر عدد من أفراد هذه الشعوب، فليتنبه لهذا.

- **وإذا بالأنموذج الهرقلي من الجانب الآخر يستنزف ويبدد موارد هذه الأمة في خدمة وتقوية أعداء الأمة الخارجيين** من الكفار الأصليين تحت ذريعة حماية "العالَم السني" من "العالَم الشيعي"، في ثنائية هزلية أضاعت العالم الإسلامي برمته.

ويزيد الأمر خطورة أن الأنموذج الهرقلي قد وظف طائفةً من "العلماء" لمهمتين خطيرتين هما:

- شرعنة قدسية كراسيهم من خلال "عقيدة" طاعة ولي الأمر المطلقة،
- وشرعنة خيانة الأمة وتبديد جغرافيتها ومقدراتها المادية لصالح العدو الكافر الأصلي من خلال "عقيدة" حِكمة ولي الأمر المطلقة التي تدور معها مقاصد الشرع، وتتعلق بها مصالح البلاد والعباد، وكل ذلك بذريعة التصدي للعالم الشيعي باعتباره الخطر الوجودي الأوحد للعالم السني؛

فبحكمة ولي الأمر وطاعته إذاً تتحقق للبلاد الإسلامية حظيرة الأمن والغذاء، وبدونها تصبح الشعوب الإسلامية نهباً لذئاب الشرق والغرب، أو هكذا أراد سدنة الأنموذج الهرقلي أن يشرعنوا...

4. حبل النجاة:

لقد أنزل الله تعالى كتابه منهجاً محكماً للعباد صالحاً إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وجعل من سنة الأنبياء والرسل واقعاً تطبيقياً لهذا المنهج، فإذا عدنا إلى المشهد القرآني الذي افتتحنا به هذه المقال، وجدنا عناصر "خطة الخروج" من الواقع الذي وصفنا آنفاً متمثلة في الآيتين الكريمتين: (**وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (49) وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ (50)**[8]، وهذه العناصر هي:

- **الكتاب** الذي آتاه الله رسلَه عليهم السلام هدايةً للخلق: والكتاب المعني به بعد بعثة مُحَمَّد ﷺ هو القرآن الكريم.
- **العاملون بالكتاب** وهو ما أشارت إليه الآية بشخص موسى وعيسى عليهما السلام، وقد ختمه الله تعالى من حيث الرسالة بمحمد ﷺ، وأما بعد وفاة الرسول ﷺ فيمثلهم ورثة الأنبياء من العلماء العاملين الربّانيين
- **الجغرافيا** التي أشارت إليها الآية في قوله تعالى **(وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ)** فلا بد من مكان اجتماع يتصف بأمرين اثنين: الأمن الحركي والمدد المادي.
- **القوة** التي توفر الأمن وهذا ما أشارت إليه الآية **(ذَاتِ قَرَارٍ)** فلا قرار ولا أمن دون قوة حامية
- **المادة** التي توفر الحاجات البشرية وهي ما أشارت إليه الآية **(وَمَعِينٍ)**

[8] سورة المؤمنون – 49-50

ويجب أن نفهم أننا في هذه المرحلة أمام حرب وجودية على الإسلام تستهدف هذه العناصر أجمع، **فعناصر خطة الهجوم المضاد هي نفسها عناصر خطة هجوم الأعداء في هذه المرحلة الوجودية من حرب الأمة الإسلامية؛**

- **فالقرآن الكريم جبهة حرب** يسعون من خلالها إلى تعطيل وظيفته، وحَرْفِ معانيه، وقصر المسلمين على مسابقات تحفيظ رسمه،
- **والعلماء العاملون جبهة حرب** يسعون من خلالها إلى إقصائهم عن الأمة، أو توظيفهم لشرعنة مشروع أعدائها وعملائهم في استعباد الأمة،
- **والجغرافيا جبهة حرب** يسعون من خلالها إلى طمس معالم دار الإسلام، وهدم معالم حضارته، وتضييع تاريخه بحقد أعمى قذر، وتحويل جغرافيا دار الإسلام إلى مجرد ساحة استهلاكٍ شهواني رخيص يعيش فيها المسلمون والنصارى واليهود والهندوس والبوذيون والوثنيون والملحدون على قَدَمٍ سواء، يأكلون ويشربون ويتناكحون كما البهائم، لا يرون أنفسهم مخاطبين البتة بقول الله عز وجل: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ)[9]،
- **والأمن جبهة حرب** يساومون من خلالها الشعوب الإسلامية على عقيدتها وحريتها وكرامتها، فإما أَمنُ الخراف وسياسة القطيع، وإما تشريدٌ وتقتيلٌ وتهجيرٌ وفق منهج : **(وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ)**[10]،
- **والغذاء وعناصر الحياة المادية جبهة حرب** يسعون من خلالها إلى السيطرة التامة على الأمة الإسلامية من خلال التحكم في مواردها المادية وفق محورين لا يقل أحدهما خطورةً عن الآخر:
  - أما أحدهما فمحور **استنزاف خارجي** يتم عبره سرقة مقدرات الأمة وتحويلها ليد أعدائها في الخارج، ومن ثم تسخيرها في تمكين منظومة الحرب الهمجية الشاملة ضد الأمة الإسلامية،
  - وأما الآخر فمحور **استنزاف داخلي** يتم من خلاله فرض منظومات هدرٍ وتوظيف أنماط عيشٍ مادية يسعون من خلالها إلى إحداث تمييع عقدي شامل، وميوعةٍ أخلاقيةٍ مميتة، وتسويةٍ تطبيعية شاملة مع أعداء الأمة، وأعداء الله عز وجل تحت مسمى "العصرية" و"التقدمية" و"العيش المشترك"،

بحيث تصبح بلاد المسلمين مجرد جغرافيا استيطانية لأعداء الله، وسوقاً استهلاكية لآلتهم الاقتصادية تغرقنا في عالم الماديات الرخيص وترفد مصانع أسلحتهم ومراكز صنع قرارهم بأموالنا المهدرة.

[9] سورة الذاريات - 56
[10] سورة البروج - 8

فإذا تقرر ما تقدم، وتبين لنا أن عناصر خطة الهجوم المضاد تدور حول نفس جبهات الهجوم الهمجي الشامل ضد الإسلام والمسلمين، كان النظر في العمل على حماية هذه العناصر، وحسن توظيفها من خلال مخطط مضاد لمخطط أعداء الأمة الخارجيين والداخليين.

5. الخطة المضادة: الاستراتيجية (المنهج)

يجب أن تبدأ الأمة الإسلامية **بهجومٍ شرسٍ مضاد** يبدأ بتوظيف عناصر الضعف الكامنة في طبيعة أنظمة الحُكم الكهنية والهرقلية ضدها، ويُثنّي بتمكين عناصر حبل النجاة من قلوب الأمة وواقعها الحياتي، لتستعيد إيمانها بقدرتها على تجاوز هذه الحرب المسعورة، بل ولتأخذ من جديد دورها الريادي في قيادة العالم، واستنقاذ البشرية من الهاوية التي تسير إليها. وعلينا في خضم ذلك كله أن لا ننسى أبداً أننا في نهاية المطاف أصحاب الرسالة السماوية الخالدة التي أمرنا الله ورسوله ﷺ بتبليغها للخلق، واستنقاذهم من عبودية الخلق إلى عبودية الخالق، تحصيلاً لسعادة الدارين وكبتاً لأتباع الشياطين، فلا بد من أن نستصحب أخلاق الرسالة وأخلاق صاحب الرسالة صلوات ربي وسلامه عليه في كل مراحل الصراع، بل وفي أشرس هذه المراحل.

وفيما يلي تفصيل ذلك:

- يجب أن يكون **منطلق الهجوم المضاد** ضد أنظمة الحكم الطاغوتي بشكليه الكهني والهرقلي من خلال إبراز ما يشهدُ به واقع هذه الأنظمة ويجتمع على تقريره كل الناس من الداخل والخارج، ألا وهو بيان اختلال ميزان العدل في منظومتي الحكم، ومع بيان مضادة ضياع العدل هذا لمقاصد الحكم الرباني، بحيث لا يستقيم بعدئذٍ في قلب أحد لا نقلاً ولا عقلاً أن يكون الحكم الكهني شرعياً إلهياً، وهو يعطل ميزان العدل ويقيم ميزان الظلم، بذريعة قداسة قرارات الكهنة التي تنوب عن الإمام، ولا أن يكون الحكم الهرقلي المدعوم بسدنة المنسوبين للعلم شرعياً إلهياً هو الآخر، وهو يعطل ميزان العدل ويقيم ميزان الظلم، بذريعة قداسة كرسي الحاكم وجلد السدنة ظهور العامة بوجوب طاعة ولي الأمر مطلقاً، فنحن نقول – ويجب على كل مسلم عاقل أن يفهم– أن **مجرد التضييع الممنهج لميزان العدل في أي دولة مسلمة محكومة بنظام كهني أو هرقلي هو دليلٌ على عدم شرعية نظام الحكم هذا، مهما حشد الكهنة من أدلة ولاية الفقيه ووجوب الخضوع لها، ومهما حشد السدنة من أدلة ولاية الأمر وتحريم الخروج عليها**. فلو كان ولي الفقيه ولياً لمنهج الفقه الإسلامي عقيدةً وشريعةً حقاً لنتج عن حكمه العدل وانمحى الظلم، ولو كان ولي الأمر حارساً للدين حقاً وسائساً للدنيا به لنتج عن حكمه العدل وانمحى الظلم، **أما والعدل مفقود والظلم موجود محفود محشود، فتباً لولاية الفقيه، وتباً لولاية السفيه.**

- ويجب علينا –من جهة أخرى لا تقل أهميةً عما تقدم– أن نلغي عناوين الاستقطاب المتفرعة على أنموذَجي الحكم الكهني والهرقلي، أعني أسماء العالم الشيعي والعالم السني، حتى نفضح ما وراء كلٍ من الشعارين من وجهٍ حقيقي يتمثل –في الأنموذج الكهني– في مجوس فارس الشعوبية التي تحتقر العرب، وتسعى لاستعادة ملك كسروي ممزَّق، وهي تتستر بستار التشيع لاستقطاب وتوظيف عرب المسلمين في سعيها المسعور هذا، كما يتمثل –في الأنموذج الهرقلي– في متطرفي علمانيي العرب الذين يتسترون بشعار السنة ليوظفوا طاقات الشعوب المسلمة في برنامجٍ انحلالي[11] إلحادي استيطانيٍ صهيونيٍ صليبيٍ حاقدٍ مقابل أمن الكرسي ووظيفة حراسة المصالح. إن إسقاط ستار التشيع عن مجوس فارس كفيلٌ بإيقاظ الغافلين من شيعة العرب من غفلتهم، وإن إسقاط ستار السنة عن علمانيي قبائل العرب كفيلٌ بتنبيه المغبونين من سنة العرب على غبنهم، **ولا بد من إعادة تسمية أقطاب الصراع في هذا المشهد كما يلي: أمةٌ مسلمةٌ في مواجهة أنظمة طاغوتية كهنية هرقلية تسعى لاستعادة وتمكين حكم طواغيت فارس والروم**. هذا هو عنوان المعركة اليوم، وهذا هو محور الصراع اليوم في خضم استعادة هوية الأمة الإسلامية وعزتها وكرامتها.

هذا من حيث التأصيل، وأما من حيث العمل:

- فإن **الهجوم المضاد للأنموذج الكهني** القائم على باطلٍ من الاعتقاد فيجب أن يكون بنشر العقيدة الإسلامية الميسرة الصحيحة، بعيداً عن تقعيرات وجدليات أهل الكلام والفرق، وبعيداً عن حدِّيات مصطلحات التكفير في زمانٍ خبا فيه نور الإيمان. وإنما عقيدة سهلة ميسرة تخاطب الناس خطاب أتباع النبي الأمّي – الذي يخاطب الناس بما يفقهون – الرؤوف الرحيم الذي يهدف من بلاغ العقيدة إنقاذ الناس من الكفر، وزحزحتهم بإذن الله عن النار، فبمثل هذا الخطاب يتم تجريد السلطة الكهنية من سلطانها على قلوب الجاهلين، ويتم تألُّف القلوب لتعود برفق ولين إلى فسطاط أولياء رب العالمين،
- وأما **الهجوم المضاد للأنموذج الهرقلي** فيكون بنشر الفقه الصحيح لنظام الحكم الإسلامي، ونشر سيرة مَن تقدم مِن سلف هذه الأمة في حراسة الدين وسياسة الدنيا به، وبيان مدى الافتراق والاتفاق ما بين سيرة سلف الأمة وسيرة الهرقليين، مع بيان مقاصد الحكم الإسلامي من حيث إقامة العدل بتطبيق شرع الله وإقامة العدل في تطبيق شرع الله، وما يلزم ذلك من وجود مرجعية تحكم على تصرفات الحاكم هي مرجعية قال الله وقال رسول الله ﷺ، وآلية محاسبة عند التنازع تمكّن للأمرين المتقدمين من حسم النزاع وفصل الخصومات، يشير إلى ذلك كله قوله تعالى: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ**

[11] نحن نؤثر مصطلح "انحلالي" على مصطلح "ليبرالي" لأن الأول أصدق دلالة على المسمى، ولأن الثاني موهم مدلس لاشتقاقه اللغوي في اللغة الأجنبية من الحرية ونحن لسنا ضد الحرية المنضبطة وإنما نحن ضد الانحلال العقدي والأخلاقي قولاً واحداً.

مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً) [12]؛

- **فالآية وضعت مرجعيةً** لتصرفات الحاكم والمحكوم **هي أمر الله ورسوله ﷺ**،
- **ووضعت آلية محاسبة هي : (فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ)**، إذ كيف يكون التنازع إذا لم تكن هناك آليات محاسبة وشفافية،
- **ووضعت آليةً للفصل** بين النزاع والحكم بعد المحاسبة: **(فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ)** وهذا يحتاج إلى القضاء المستقل العادل الذي يقف على مسافة واحدة من الحاكم والمحكوم،
- **ووضعت الآية الكريمة مناطاً للإيمان هو تنفيذ التحاكم إلى الله والرسول ﷺ والانقياد إليه** عبر هذه الآلية أعني آلية المحاسبة والقضاء، **ولم تجعل الإيمان منوطاً بطاعة ولي الأمر** كما يلبّس أهل الهوى من أصحاب البلاط.

وأود قبل أن أستطرد في هذه المسألة أن أبطل شبهةً يشوش بها السدنة في هذا المقام ألا وهي مفاسد الخروج على الحاكم، وجوابي المختصر في هذا المقام **أن ترك الخروج على الحاكم الذي يجوز أو يجب الخروج عليه شيء، واعتقاد شرعية حكمه وعقد القلب على بيعته شيء آخر**، فالأول من باب النظر المصلحي الشرعي بدرء أكبر المفسدتين حقناً للدماء والأعراض، مع بقاء الخطاب موجهاً نحو تعاطي المكلفين أسباب الخروج الآمن، والثاني من باب الرضا القلبي بما يسخط الله عز وجل ومتابعة الذين كرهوا ما نزّل الله، وهي مفسدة محضة لا مصلحة ترجح عليها، بل هي طريق حبوط العمل كما قال تعالى: **(إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ (25) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ (26) فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمْ الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ (27) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ (28)**[13]، فليس بعد حبوط العمل مصلحة ترتجى...

وسر المسألة أنه **لا يلزم من ترك الخروج على حكومة أو حاكم يعادي دين الله ويوالي أعداء الله لمصلحةٍ مرحليةٍ تتعلق بحسن الإعداد وحقن الدماء، لا يلزم من ذلك أن تعقد القلب على بيعة هذا الحاكم أو شرعية هذه الحكومة ولا أن تدعو الناس إلى ذلك، بل وتهددهم بوعيد الخروج على ولي الأمر**. فتأمل هذا الفارق فإنه عظيم، **ففرق كبير بين أن تتوقف في تغيير الباطل باليد وقلبك كارهٌ مُنكِرٌ يتربص ساعة التمكين، وبين أن تتوقف في تغيير الباطل وأنت تؤصل لصحته وسلامته وتسهر على رعايته وخدمته. إنه كالفرق بين ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم هدمَ أوثان البيت وهو يدعو إلى توحيد الله، وينصر من أجاب لذلك، ويحارب من يدعو إلى ألوهيتها**

[12] سورة النساء - 59
[13] سورة محمد 25-28

وقدسيتها، وبين ترك أبي جهل هدم أوثان البيت وهو يدعو إلى تقديسها وحراستها وسدانتها ويحارب من ينفي الألوهية عنها، فتأمل...

6. الخطة المضادة: التكتيك (التنفيذ)

روى الترمذي بسنده عن أم مالك البهزية قالت: ذكر رسول الله ﷺ فتنةً فقرَّبها، قالت: قلت: يا رسول الله، مَن خيرُ الناس فيها؟ قال: "رجلٌ في ماشيته يؤدي حقها ويعبد ربه، ورجلٌ آخذٌ برأسِ فرسه يخيف العدو ويخيفونه"[14] ،

وروى النسائي بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: "ألا أخبركم بخير الناس منزلاً؟ قلنا: بلى يا رسول الله! قال: "رجلٌ آخذٌ برأس فرسه في سبيل الله عز وجل، حتى يموت أو يُقتل، وأخبركم بالذي يليه؟" قلنا: نعم يا رسول الله! قال: "رجلٌ معتزلٌ في شِعب يقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة، ويعتزل شرور الناس، وأخبركم بشر الناس؟" قلنا: نعم يا رسول الله! قال: "الذي يُسأل بالله عز وجل ولا يعطى به"[15]، والأحاديث بهذا المعنى كثيرة اقتصرت منها على هاتين الروايتين.

فهذا الحديث في الفتن، وإخبار رسول الله ﷺ عن خير الناس فيها إشارة إلى من يُقتدى به وبفعله في هذه الفتن للنجاة منها بإذن الله، وسوف أتخذ من هذا الحديث القاعدة التنفيذية للخطة المضادة، وهي تشتمل على كافة العناصر التي تقدم استنباطها من المشهد القرآني المذكور في أول المقال.

لقد بيَّن لنا رسول الله ﷺ أن الرجال في الفتن اثنان؛

- **إما رجلٌ في المواجهة**
- **وإما رجلٌ في العزلة،**

ثم بين صفات كلٍ منهما؛

- **فرجلُ المواجهة مقاتلٌ في سبيل الله،**
- **ورجل العزلة مقيمٌ لدين الله.**

وإذا أردنا أن نستلهم من هذا التقسيم خطة **هجوم مضاد** للهجوم الهمجي الشرس الذي تتعرض له الأمة الإسلامية اليوم، فإن ساحة تقسيم الرجلين المذكورين في الحديث لا بد من أن تدور مع الجغرافيا؛

---

[14] سنن الترمذي – حديث 2177 وقال حسن غريب
[15] المجتبى من السنن – النسائي – حديث 2570، وأخرجه أحمد في مسنده حديث 2929

- **فبقدر ما تؤمّنُ الجغرافيا خصال المجاهد كان توجهه هنالك،**
- **وبقدر ما تؤمن الجغرافيا خصال المعتزل كان توجهه هنالك.**

ولا بد من إلغاء كل التقاسيم الأخرى في هذه المرحلة، **فساحة المواجهة اليوم هي العالم بأسره!** ويترتب على هذا الأمر أن نستشعر اليوم أن **مفهوم الأمة الإسلامية اليوم لا يتعلق بالجغرافيا بقدر ما يتعلق بالكثافة النوعية لقسمي الرجال المذكورين في الحديث؛**

- فكلما وجدت مجاهداً على الصفة المذكورة استشعرت ارتباطك به كجزء من الأمة الإسلامية المدافعة عن وجودها،
- وكلما وجدت منعزلاً على الصفة المذكورة استشعرت ارتباطك به كجزء من الأمة الإسلامية المدافعة عن مضمون وجودها

ولا شك أن **هذا التقسيم يتعلق من الناحية المقاصدية بأمرين؛**

- أولهما **حفظ الكيان الحسي** للأمة
- والثاني **حفظ المضمون العلمي** للأمة،

فالمجاهد حارسٌ والمعتزل محروس، وبهذا التكامل نفهم أهمية الرجلين ولا نقع فريسة الإنكار على أحد النوعين، فضلاً أن ندخل في مواجهة أو صراع بينهما يستنزف فيه كل منهما الآخر ويريح أعداء الأمة منهما!

7. عناصر التكتيك (التنفيذ) الهجومي المضاد:

تتألف عناصر تنفيذ الهجوم المضاد من أربعة محاور هي: إشغال العدو، حراسة ميراث النبوة، التفرق لأجل الاجتماع، انفكاك الولاء القلبي والعملي.

7.1 العنصر الأول:إشغال العدو:

لقد برع أعداؤنا اليوم في توظيف قسمي الرجلين ضد بعضهما البعض،[16] فأخَذَ المجاهدُ في الإنكار على القاعدِ المعتزل متهماً إياه بالتخذيل والتقاعس، وأخذ المعتزلُ في الإنكار على المجاهد متهماً إياه بالهدم والتشويش على بنائه، وإنما أُتي

[16] راجع غير مأمور خلاصة دراسة شيريل برنار من مؤسسة راند باسم:"أركان الديمقراطية الخمسة" وأخرى بعنوان "الإسلام الديمقراطي المدني" لتتطلع على أحد نماذج توظيف شرائح المجتمع المسلم بعضه ضد بعض، وهي تكاد تجتر هذه الفكرة في معظم أبحاثها، ولكنها تكشف بصفاقةٍ عن مدى خبث هذه المنهجية في تفتيت كيان الأمة، كما تفضح مدى قابلية فئة (وفيكم سماعون لهم) للانخراط في منظومة الهجوم على الأمة الإسلامية.

الرجلان من توهم استقلال كل منهما ببناء صرح الإسلام وحده، ولو تنبه الرجلان إلى حديث رسول الله ﷺ لأدركا أن كلاً منهما على خير، وأن بناء الإسلام منوطٌ بجهد كل واحد منهما، وأنه **لا غناء للمجاهد عمن يحفظ مضمون الدين، وأنه لا غناء للمعتزل عمن يحرسه ويحرس هذا الدين**. ومما يعين على هذا أن يتصور المجاهد أن تفرغه للجهاد يشغله عن حفظ وإقامة ما يجاهد لأجله فيقدِرُ للمنعزل قيامه بما تعذر عليه بسبب جهاده، وأن يتصور المنعزل أنه لولا إشغال المجاهد للعدو وإنهاكه إياه لفتك به في عزلته وسلميته فقوَّض الدين الذي يقيمه.

ولا بد لنا من تحقيق إشغال العدو في هذه المرحلة من خلال أمرين اثنين:

- **أولهما: فض الاشتباك بين المسلم المجاهد والمسلم المعتزل**، وذلك بما يلي:
  - أن نكف فوراً عن إيذاء بعضنا البعض بالقلب واللسان واليد،
  - وأن ننصاع فوراً لأمر الله : **(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ)**[17]،
  - وأن نأتمر بأمر رسول الله ﷺ : **(وكونوا عباد الله إخواناً)**[18]،
  - وأن نُعمل قاعدة : **إذا ضاق الأمر اتسع**، ففي زماننا الذي ضاق فيه أمر الدين يتسع نسيج الأمة الإسلامية لكل من يَصدُق عليه اسم المسلم.
- وأما **الأمر الثاني** فهو توجيه القلب واللسان واليد نحو إشغال العدو، ولا بد من التمييز بين طبيعة إشغال المجاهد للعدو وطبيعة إشغال المعتزل للعدو على النحو التالي:
  - **فإشغال المجاهد للعدو**: إشغالٌ ميداني استنزافي يهدف في هذه المرحلة إلى تحقيق توازن الرعب مع القوة الهمجية الغاشمة التي تستبيح أمتنا الإسلامية، كما يهدف إلى بقاء هذه الأمة حيةً نابضةً لا تموت. وإذا نظرنا إلى جغرافيا الأمة الإسلامية أمكننا تمييز نوعين من ساحات المواجهة العسكرية مع العدو؛
    - **النوع الأول** واضح المعالم يتميز فيه صف المسلمين من الكفار، ومثال هذا النوع جهاد أهل الأقصى للصهاينة المحتلين،
    - **والنوع الثاني** ملتبس المعالم يصعب فيه التمايز بسبب تترس العدو الكافر ببطانة لا تألوا المسلمين خبالاً، ومن هذه البطانة من قد يصدق عليه اسم المسلم، ومنهم من يصدق عليه اسم المنافق، ومنهم من يتحقق فيه مناط الردة مع تعذر تحرير موانع الحكم بهذه الردة، ومنهم من لا شك في كفره أو ردته،

[17] سورة الحجرات - 10
[18] متفق عليه

وإذا لحظت هذا التنوع في جغرافيا الاشتباك العسكري أدركت مصدر الالتباس والتلبيس، وتبين لك قصد أعداء الأمة تهييج عناصر المشهد المذكور في جغرافيا النوع الثاني من ساحات المواجهة لتهييج فتنة مدمرة تضيع في طياتها مصالح الجهاد، ويعكر بها صفو عبادة الجهاد في جغرافيا النوع الأول.

ولعلك تلحظ مثال ذلك ما يجري في أرض العراق والشام ومصر وليبيا وأفغانستان، ونحو ذلك، ولا يخفى على أي عاقل ما تعيث به أصابع أجهزة المخابرات الصهيوصليبية من فساد وتهييج لهذه الفتنة، واختراق الجماعات المجاهدة، بل **وإحداث جماعات وهمية بهدف تشويه صورة الجهاد**[19] **وتنفير الحاضنة الشعبية الإسلامية من احتضان المجاهدين، وتنفير القاعدة الشعبية من الأمم الكافرة من قبول أو سماع دعوة الإسلام**. وتتمثل المكيدة العظمى و"الحرب النفسية" التي تتعرض لها الأمة في هذا التهييج والتلبيس في معالم النوع الثاني من ساحات المواجهة سعياً إلى نزع اعتقاد الشرعية عن النوع الأول من ساحات المواجهة والاشتباك الذي لا لبس في شرعيته ولا غموض في مفرداته، حتى تتحقق الهزيمة النفسية للأمة وتفقد الأمة قناعتها بجهاد أعدائها وتنمحي عقيدتها القتالية من هويتها وفكرها ولسانها فتضع الأمة سلاحها، وتدخل الأمة في حالة من الخنوع المطلق والاستسلام لواقع الذل والتهميش بل والإلغاء من واقع الشهود الأممي بعد أن أيقنت – متوهمةً مخدوعةً بنماذج النوع الثاني من المواجهة العسكرية – فقدان البوصلة الأخلاقية لمنظومة الجهاد وعبثية هذه المنظومة بسبب ما تجره على المجتمعات الإسلامية من الويل والدمار.

وإن خطة المواجهة وإشغال العدو في هذه الجبهة تعتمد على بث مبدأين اثنين والثبات عليهما وهما:

أولاً: الرباط على ثغور النوع الأول من ساحات المواجهة العسكرية مع الاقتصار على توجيه البندقية نحو العدو الكافر الذي لا شبهة في صفة كفره وحرابته، ودعم هذا الرباط دعماً غير محدود سداً لذرائع اختراقه ومنعاً لقطع أسباب بقائه

وثانياً: إطلاق شعار "**إذا خاف مسلمٌ فلا أمانَ لأحد**" في ساحات النوع الثاني مع التوقف عن الخوض في الدماء لأدنى شبهة تعصمها، والتوقف عن الإنكار على من يجتهد في هذه الساحة، والاقتصار على البراءة من أخطاء الجهاد والمجاهدين، دون البراءة من الجهاد والمجاهدين.

وإن **المصالح المرجوة من الرباط على الثغر الأول** لا تخفى على أحد من أتباع رسول الله ﷺ،

وأما **المصالح المرجوة من شعار "إذا خاف مسلم فلا أمان لأحد"** في ساحات الفتنة والفوضى فتتمثل في أمرين اثنين؛

- أولهما بيان السياق الاجتهادي الذي تقع فيه بعض أخطاء المجاهدين مما يوجب التبرأ من الخطأ لا التبرأ من المجاهدين، فالخوف مثلاً عذرٌ لمن دهمه العدو فتصرف باجتهاده في دفعه ودفع أسبابه،

[19] وقد صرحت الباحثة شيريل برنار في خلاصة بحثها "الإسلام الديمقراطي المدني" بأن دعم الشريحة الجهادية قد يكون مطلباً تكتيكياً مرحلياً في سياق استراتيجية محاربة الغرب للجهاد برمته

والاشتباه بالعمالة والجاسوسية قد تكون كذلك، ولا بد من تقوى الله في هذا الباب وتقديره بأضيق التقديرات لرجحان مفاسد ترك ذلك التقدير.

- وثانيهما قلب الطاولة على أجهزة المخابرات الكافرة والعميلة التي تسعى من خلال تشويه صورة الجهاد إلى تنفير الأمة الإسلامية من احتضان الجهاد، **بحيث نقلب أسلوب الفوضى الخلَّاقة عليهم** من خلال هذا الشعار الذي يؤدي إلى نفور شعوب هذه الدول والأجهزة من سياساتها التي أدت إلى نشر الخوف والفوضى في كل مكان في العالم، وسيؤدي هذا في نهاية المطاف إلى نصرة المسلمين بالرعب كما صح الخبر بذلك.

وهنا مسألة مهمة، وهي كسر هيبة هذه الدول والقوى العظمى من خلال تسليط الضوء على ما يرسمونه من مشهد التحالفات العسكرية الجبارة لمطاردة بضع مئات أو ألوف بزعمهم، بحيث نقضي على شعور العجز والهزيمة عند عوام الأمة بل وعند منظري الاستسلام والخنوع حين نسلط الضوء على عجز هذه الدول العظمى عن القضاء على أعداد يسيرة لا عتاد لها ولا عديد، وسر المسألة أن نبين للأمة الإسلامية ما يلي: إن الضخ الإعلامي الصهيوصليبي والعميل ضد ما تسميه الجماعات الجهادية والإرهابية إما أن يكون كاذباً أو صادقاً، فإن كان كاذباً فهو دليل على براءة المسلمين من تهمة الإرهاب والفوضى هذه، وإن كان صادقاً وكان حقاً أن بضعة ألوف من أفراد المسلمين بتسليحٍ تافهٍ مقابل تسليح جيوش هذه الدول العظمى قادرة على إرباك وإشغال ومباغتة هذه الدول بل وهزيمتها في بعض الوقائع فأحرى بذلك أن يحرك بضعة ألوف آخرين من الأمة للقضاء على عدوها وتحرير مقدساتها والانتصار لدينها، وعلى فرض احتمالٍ ثالثٍ مركبٍ من هذين الاحتمالين فإن دلالته على المعنيين المتقدمين واحدة، وهذا السبر والتقسيم مستوعب لكل الاحتمالات كما ترى، والحمد لله.

- وأما **إشغال المعتزل للعدو**: فلا بد أن ينصبَّ على **تعرية منظومة المبادئ الحضارية الزائفة** التي تقوم عليها دول العدو، مع الحرص على **تقديم المبادئ الإسلامية الصادقة** المقابلة لهذا الزيف والكذب، وذلك بأسلوبٍ علميٍ رصينٍ قائم على العلم الشرعي الصحيح، والبحث المقارن المحكم، والعزة الإيمانية الشامخة التي لا يسعها الاعتذار عن شيء من أحكام الدين، ولا التملص من شيء من شريعة رب العالمين. هذا من ناحية العلم النظري، وأما من ناحية العلم التاريخي فلا بد من الاعتناء **بإبراز جرائم العدو الكافر الصهيوني الصليبي، والشيوعي الإلحادي تجاه المسلمين وتجاه العالم كله**؛ فإذا عرضَ إعلامُهم الكافر وإعلامُنا العميل المنافق صورَ قطع الرؤوس المنسوبة للمجاهدين في ساحات الخوف والفتنة، عرضنا لهم صور قطع الرؤوس التي قام بها الأوروبيون في إفريقيا في ساحات القوة والمنعة، وإذا أبرزوا صور سبي النساء المنسوبة للمجاهدين[20] في ساحات الخوف والفتنة، عرضنا لهم صور استرقاق واستعباد شعوب قارة بأكملها، وإذا أبرزوا لنا صور تفجيرٍ

[20] لسنا بصدد التعليق على هذه الأخبار وهذا عين المقصود، فهم يريدون إشغالنا بالدفاع عن صور مضخمة لممارسات مشتبهة، ونحن نقول إن ممارساتهم الإجرامية واضحة لا لبس فيها من جهة الكم والكيف فلينصب الإنكار عليها إذاً

منسوب للمجاهدين في ساحات الخوف والفتنة، عرضنا لهم صور حروبهم الهمجية في الحرب العالمية الأولى والثانية وحروبهم الذرية المدمرة، وتجاربهم النووية الهمجية على البشر من مسلمين وغيرهم[21]، ولا يلزم من هذا الدفاع عن أخطاء المجاهدين في ساحات الهرج والفتنة أو تبريرها، ولكن نبين طغيان السجل الإجرامي الهمجي لأعداء الأمة كمّاً وكيفاً على سجل أخطاء المجاهدين في ساحات الفتنة هذه، وننبري بالنصح فيما بيننا لتصحيح الأخطاء ورد الحقوق وتبيُّن معالم الصراط المستقيم، وهكذا.

والمعادلة الحرجة في هذا المقام أن يكف كل من الفريقين – المسلم المجاهد والمسلم المعتزل –عن الآخر، فلا يمكن أن تنجح خطة المواجهة ما لم يتفرغ كلٌ لجبهته ويحسن الظن بتفرغ أخيه للجبهة الأخرى، فلا بد لكلٍ من المجاهد والمعتزل أن يعتقد التعاون في الله، والتكامل في أخذ أسباب دفع عدو الله، **فليس سلاحُ المجاهد بأهمَّ من قلمِ المعتزل، وليس قلمُ المعتزل بأهمَّ من سلاحِ المجاهد، بل لا بد من قلمٍ يكتب الحق، وبندقيةٍ تحرس المكتوب**. ولأن التزام المسلمين بهذه المبادئ سيكون متفاوتاً فلا بد لكل من الفريقين أن يحتسب ما قد يناله من أخيه من أذى، ولا ينصرف بذلك عن جبهته ومعركته الحقيقية مع العدو، وليحقق قول الله عز وجل: (**أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ**)[22] فهذا حال الرجلين، (**يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**)[23] وهذه للمجاهد بسلاحه، (**وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ**)[24] وهذه للمعتزل القائم على الحق القوّال به، فتم بهذا مشهد حراسة هذا الدين والقيام به ولله الحمد.

7.2 العنصر الثاني: حراسة ميراث النبوة:

إذا أدركنا أن المقصد الجماعي للجهاد في سبيل الله هو حراسة الدين والمتدَيّن، وأن المقصد الفردي للجهاد في سبيل الله هو الظفر بإحدى الحسنيين إما النصر أو الشهادة في سبيل الله، استطعنا أن نوفق بين **سعي المسلم المجاهد لحراسة الدين وسعي المسلم المعتزل لحفظ الدين**، وفهمنا قول الله تعالى في الآيات التي استفتحنا بها حيث وصف حال عيسى عليه السلام وأمه فقال: (**وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ**)[25]؛ ذلك أن حفظ الدين – بمعنى حفظ مادته – يحتاج إلى نوع سكون واستقرار يُمَكِّن للعالِم من ضبط علومه، ويُمَكِّن للعابد من إقامة شعائره، ويُمَكِّن للقاضي من إقامة حدوده، ويُمَكّن للعامي من التلبس بأخلاقه ومحامده، ويُمَكِّن للكافر من مشاهدة الإسلام ومعاينته في سياق الممارسة الحياتية اليومية ديناً حياً تنشرح الصدور لرؤيته واقعاً على الأرض، وترتاح النفوس لسماع دعوته على لسان حال أهله، بعيداً عن التنظير الخيالي للحالمين به، وسليماً من التلبيس الشيطاني للمعادين له. وهذا كله يحتاج إلى بيئةٍ من السِلم الاجتماعي التي تسمح بظهور

---

[21] ولنعد إلى الأذهان مثلاً جرائم تجارب التفجير النووي التي مارستها فرنسا أثناء احتلالها المجرم للجزائر مثلاً

[22] سورة المائدة - 54

[23] سورة المائدة - 54

[24] سورة المائدة - 54

[25] سور المؤمنون - 50

هذا كله على أرض الواقع، أي أنه يحتاج إلى بيئة تُمَكِّن للمسلم من حفظ مادة الدين وممارسته في الواقع الاجتماعي ليعاينه أهله وأعداؤه؛ فيزداد الذين آمنوا إيماناً بأن هذا هو الحق من ربهم، ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون أن هذا الإسلام هو امتداد دين التوحيد من لدن آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، وليقول الذين في قلوبهم مرضٌ والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلاً؛ فتقوم عليهم الحجة بالبلاغ النقلي، وتزول عنهم الشبهة بالبيان العقلي، فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء، وتقوم حجته سبحانه وتعالى على خلقه، ويؤدي عباده المسلمون المؤمنون ما كلَّفهم به من الدعوة إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، وهذا كله إنما يتم في بيئة من السِلم المدني الاجتماعي ولا يتحقق على وجهه الكامل في بيئة الحرب والقتال.

إن خطة الهجوم المضاد تستلزم إذاً — في جزء منها – تفرغ ثلّةٍ من العلماء الربانيين لحفظ ميراث النبوة من وجهين؛

- **حفظ مادة هذا العلم** الذين بَلَغَنا بنقل الثِقات العدول عن الثقات العدول وبالتواتر الذي يؤمَن معه التواطؤ على الكذب،
- **وحفظ واقعية هذا العلم** من خلال تنزيل هذا العلم على الواقع المعاصر بكل ما فيه من نوازل، حتى نتمكن من توجيه دفة الصراع المحتدم بين الحق والباطل، وحتى نستطيع أن نميز ما بين الثوابت التي نُقاتِل دونها حتى نُقتَل، وبين المتغيرات التي تحتمل مداراةً أو تأجيلاً أو تحييداً عن ساحة الصراع المحتدم الآن.

وتزداد أهمية هذين الأمرين في بيئة الاعتزال عندما يزداد توحُّش منظومةِ ولاية الفقيه الكهنية وولاية السفيه الهرقلية في البطش بالعلماء والعاملين في بيئة المواجهة، وعندما يستفحل رضوخ "علماء" البلاط والشهوات لعملية تمييع الدين وتضييعه في بيئات الصراع المباشر، لا سيما ما نراه في بلاد الإسلام الأصلية اليوم، حيث يؤدي تمكين منظومة ولاية الفقيه إلى صعوبة بالغة في إظهار العقيدة العلمية، وحيث يؤدي توحش منظومة ولاية السفيه إلى صعوبة بالغة في تطبيق الشريعة العملية، فيكون في بيئة الاعتزال — خارج ديار الإسلام الأصلية – فسحة للعالِم أن يحفظ العلم الصحيح وأن يوجه العمل الصحيح، بل قد تتيسر لجماعة المسلمين والنفر اليسير الذين معه إقامة "أنموذج" مصغر للمجتمع المسلم كما يجب أن يكون، فيكون نبراس أمل ينير طريق المضطهدين من أهل الإسلام في بلاد الإسلام، ومنارة حق لدعوة لأهل الكفر التائهين في شعب الضلال الإبليسي، والذين حرمتهم منظومة ولاية الفقيه وولاية السفيه من معاينة الدين الحق، وحَرَمَتْهم مِن تعرُّف سفينة النجاة التي تنتشلهم من خضم الكفر الذي تتقاذفهم أمواجه.

ولئن كان واقع التشتت والتهجير الذي تقدم وصفه أثراً من آثار حكمة الله في تشريد فئات من المسلمين في أرجاء المعمورة، فإن ما نراه اليوم في بقاع العالم أجمع من تناثر "الأقليات المسلمة" هنا وهناك، في قارة أوروبا، وأمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية وأستراليا وآسيا، يحتاج إلى دراسة منهجية تُمكِّن من توظيف هذا الشتات لصالح بعث إسلامي جديد، وهذا يحتاج إلى تفعيل منظومة: **(وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومَعين)** وفق الآليات التالية:

- **تفعيل مفهوم الانتماء "للأمة الإسلامية" في هذه المرحلة وفق منهج إطلاق الموالاة القلبية وتقدير الموالاة العملية تضييقاً وتوسيعاً وفق خصوصية الجغرافيا السياسية لكل فئة مسلمة**؛ والقصد من تفعيل هذه المنظومة على هذه الصفة هو الحفاظ على الارتباط العضوي للفئة المسلمة "المعتزلة" في أي مكان بالأمة الإسلامية من خلال الولاء القلبي المطلق، **مع التمكين لهذه الفئة من ضرب جذورها في بيئتها الجغرافية السياسية** من خلال تخفيف أعباء لوازم الولاء العملي للأمة الإسلامية في ديار الإسلام الأصلية، وتوظيف كل ما يجوز شرعاً من آليات المواطَنة والهجرة والحقوق المدنية في بيئة العزلة التي تعيش فيها هذه الفئة، حفاظاً على مادة الإسلام العلمية والبشرية في هذه الحواضن التي تجمعها صفة مشتركة هي صفة العدالة المدنية الاجتماعية؛كافرةً كانت هذه البيئات أم مسلمة أم مركَّبة، بحيث يكون هذا التقدير محققاً لأكبر قدر من الاستقرار الأمني **(ذات قرار)** ومحافظاً على أكبر قدر من استدامة الهوية الإسلامية **(ومَعين)** لهذه الفئة المسلمة أو تلك، وبحيث تكون هذه البيئة حاضنةً للنفر من العلماء الربانيين الذين يحفظون مادة ميراث النبوة من جهة، ويؤطرون واقع الحياة الإسلامية ونوازلها بأطر هذه المادة من جهة أخرى، ويكون التواصل بين هذه الفئات في هذه المرحلة **تواصلاً علمياً** لا عملياً، بحيث تتم عملية التبادل والتكامل العلمي الذي تستطيع من خلاله مجموع الفئات المسلمة من حفظ مجموع الدين.

إن تفعيل هذه المنظومة لَيُمَثِّلُ الهجوم المضاد والكَرَّة المعاكسة على أولئك الذين يريدون أن يجعلوا الإسلام أنموذجاً ديمقراطياً، وآخر شيوعياً، أو أمريكياً، وآخر أوروبياً، أو روسياً، أو صينياً، يريدون بذلك تغيير ثوابت الإسلام لصالح هذه الصفات الدخيلة، فإذا بنا نحوِّلُ هذه الصفات إلى نِسَب توزعٍ جغرافي لا نسب تعديلٍ على مبادئ الإسلام وثوابته. **وسر المسألة أن أمريكا أو أوروبا على سبيل المثال عندما تفرض هذه النماذج البدعية على واقع الأمة الإسلامية في جغرافيا دار الإسلام، فإنما توظف لأجل ذلك كلاً من مؤسسة ولاية الفقيه الكهنية وولاية السفيه الهرقلية لفرض هذه النماذج على شعوبنا المسلمة التي لا حيلة لها في رد هذه النماذج بسبب بطش وطغيان الولايتين، في حين أن المسلم الأمريكي والمسلم الأوروبي وغيرهما (نسبةً إلى الجغرافيا ونسبة إلى صفة المواطَنة المدنية) يستطيعان في عزلتهما مقاومة هذه النماذج البدعية، من خلال فهم وتفعيل وتوظيف قوانين حقوقهما المَدَنية في بيئة العدالة الاجتماعية النسبية القائمة في هذه الدول.**

ويدلك على مدى فعالية هذه الخطة وأهميتها هستيريا الولايتين – ولاية الفقية وولاية السفيه– المسعورة في سعي كل منهما إلى محاربة أي شكل عضوي للوجود الإسلامي في ديار الكفر، وسعيها الحثيث في سبيل شيطنة أي تجمع مؤسسي أو عضوي لهذه المجتمعات الإسلامية المصغرة، وعلى هذه الفئات المسلمة أن لا تنشغل في بيئاتها تلك بالاشتباك مع هاتين الولايتين ولا مع أذنابهما البتة، **بل عليها التفرغ لتأسيس الأنموذج الإسلامي المصغَّر الناجح الذي يفضح ولاية الفقيه وولاية السفيه من جهة، ويقدِّم لأمة الدعوة في هذه الجغرافيا أنموذج الدعوة إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنى من جهة أخرى.** ولعلي أحث في هذا الموضع كل من تيسر له

من العلماء الصادقين في بلاد الإسلام على التفكير الجدي بالانحياز إلى بعض هذه الفئات حفظاً لها من الضياع فريسة الجهل، وحفظاً للثلة اليسيرة من العلماء الربانيين الذين تفتك بهم منظومتا ولاية الفقية وولاية السفيه من التعطيل والتحييد.

- **فهم الجغرافيا السياسية لكل فئة مسلمة** فهماً جيداً يُبَصِّر المسلمين بأقصى ما يمكن تحقيقه من "حقوق مدنية" في المنظومات السياسية الداخلية التي أصبحوا "ينتمون" إليها بحكم هذه الجغرافيا السياسية، مع إخلاص النية لله عز وجل في طلب نيل هذه الحقوق لتمكين الوفاء للحق وليس للغدر بالخلق، **فنحن المسلمين أصحاب وفاء وأمانة لا أصحاب غدرٍ وخيانة، بل يكون المسلم حيثما كان موجوداً مقيماً لدينه في نفسه، وداعياً إليه غيرَه، ولا يتحقق الأول دون إخلاص، ولا يتحقق الثاني دون تأليفٍ للقلوب وحكمة في المعاملة.** ولست أخوض في هذا الموضع في مسألة المشاركة السياسية في المجتمعات الكافرة غير أني أقول أنه يُنظر في هذا السياق المرحلي إلى الفتوى الجَمعية لعلماء المكان المُلِمّين بخصوصياته، **وفق ميزان السياسة الشرعية القائم على درء أعظم المفاسد بارتكاب أقلها، وجلب أعظم المصالح بتفويت أقلها، مع التنبيه على أن ارتكاب أقل المفسدتين ليس تحليلاً للمفسدة الأقل في ذاتها، وأن تفويت أدنى المصلحتين ليس تحريماً للمصلحة الأقل في ذاتها،** والحذر من الوقوع في المحرمات التي هي حرام لذاتها فلا تستباح بحال، فليتنبه. وأُعطي مثالاً واحداً لتقريب الصورة؛ فلو كانت مصلحة المسلمين في مجتمع ما ترك تعدد الزوجات (ولا أقول تحريم تعدد الزوجات) فلا تشن الأمة الإسلامية الغارة على هذه الفئة بأنها تحرم الحلال، وبالمقابل أيضاً لا تقوم هذه الفئة بالتزلف إلى جغرافيتها السياسية بالإنكار على حكم التعدد والتنظير لذلك واتهام الأمة بالجمود والتطرف وغيرها من الألفاظ والأسماء الموظفة للهجوم على الأمة، وإنما تترك هذه الفئة المسلمة التعدد عَمَلاً، ولا تُحرِّمه عِلماً، ولا تُنكر على من يمارسه من الأمة الإسلامية علماً وعملاً، وتترك الأمة الإسلامية هذه الفئة فلا تكفرها ولا تفسقها بل تلتمس لها العذر وتدعو لها بالتوفيق في إقامة ما تسعى لإقامته من مصالح المسلمين الكبرى في تلك الجغرافيا، والله تعالى أعلم. ولعل من الأمثلة التي طرأت زمن كتابة هذه الأسطر ما فرضته بعض الدول الأوروبية من فرض مصافحة موظف حكومي في الدولة دولة من الجنس الآخر لكل مسلم أو مسلمة يريد الحصول على جنسيتها مستحقاً لها، فلا نفتي الناس بتحليل الحرام من جهة، ولكن لا نشن الغارة على من أداه اجتهاده إلى احتمال مفسدة هذه المعصية تمكيناً له مما تقدم بيانه، أو اضطرته الحاجة على مضض لذلك، ولعله إن حُرم صفة المواطنة رُحِّل إلى دولة يفتن فيها عن دينه وعرضه بالكلية فتكون مفسدة هتك عرضه واستحلال دمه وضياع دينه تحت وطأة ذلك أشد بكثير من مفسدة مصافحة عارضة يشتاط قلبه غيظاً لارتكابها ويعقد عزمه على أخذ أسباب تغيير هذا القانون متى استحق صفة المواطنة وتعلم سبل العمل السياسي المؤسسي المحققة لذلك، أو لربما مقاضاة من ضيق عليه في دينه وفق قوانين الدولة التي تجرم هذه الممارسات فترعوي الحكومة عن هذا القانون، ولك في قصة الخضر وكسر

السفنية ميزان لمثل هذه الأمور أعني من جهة ارتكاب مفسدة أقل درءً لمفسدة أكبر أو طلباً لمصلحة أعظم،والله أعلم.

- **السعي نحو جغرافيا سياسيّة إقليمية:** إن الانتقال من الجغرافيا المكانية الضيقة للفئة المعتزلة إلى الجغرافيا الإقليمية يعين على تمكين الفئات المعتزلة في جغرافيتها السياسية من جهة، ويزيد من ثقلها المجموعي في مواجهة وفضيحة منظومتي ولاية الفقيه والسفيه الطاغوتيتين في ديار الإسلام من جهة أخرى، بل قد تصبح هذه الفئة المعتزلة بمجموع ثقلها الجغرافي الإقليمي فئةً تنحاز إليها فئات مضطَهدة من المسلمين في جغرافيا الولايتين الكهنية والهرقلية المضطهِدة للمسلمين والمتربصة بأي طليعة من طلائع البعث الإسلامي في ديار الإسلام. ولنأخذ مثالاً على ذلك التدرج من الوجود الفئوي المعتزل في دولة أوروبية صغيرة إلى التواجد الإقليمي على مستوى الاتحاد الأوروبي والمنظمات الاتحادية الأوروبية، ولديك شواهد فردية متزايدة على قيام محكمة الاتحاد الأوروبي مثلاً بإنصاف مَن ظلمهم قضاء دولة أوروبية معينة، ولديك مثال آخر في الولايات المتحدة الأمريكية حيث الانتقال من التواجد الفئوي المنعزل في ولاية ما إلى الترابط العضوي مع مسلمي باقي الولايات الأمريكية على مستوى الاتحاد الفدرالي والمؤسسات الفدرالية ونحوها. وأنبه على الحرص على العمل التوسعي الإقليمي هذا ضمن منظومةٍ تسهم حقيقةً في بناء وإصلاح هذه الدول وأقاليمها باعتبار أنها جزءٌ من أمة الدعوة التي لها علينا حق سماع الدعوة، وباعتبار المشتركات الإنسانية التي يمكن الاجتماع عليها دون مداهنة في شيء من ثوابت العقيدة، ثم سمِّ ذلك "مواطنةً" أو سمِّها ما شئت، فالعبرة هنا بالمعاني والمسميات لا بالصيغ والأسماء، ولا مشاحة في الاصطلاح. ويجب في هذه المرحلة أن نتمكن من تَجاوز العُقدة النفسية التي تضع السياسيات الخارجية لهذه الدول والتحالفات الإقليمية في نفس الكفة مع نُظُمها الداخلية وسياساتها الداخلية الناظمة والضامنة للعدالة الاجتماعية في إطارها الجغرافي الداخلي، دون أن يمنع هذا التجاوز من الإنكار على هذه السياسات وفق ما يتيسر لكل فئة مسلمة في جغرافيتها السياسية، والحاصل أنه لا بد من وضع كلٍ مِن السياسة الخارجية تجاه المسلمين خارج جغرافيا هذه الدول والأقاليم في كفة، ووضع النظم الداخلية المتاحة للمسلمين داخلها في كفة أخرى، لتصبح السياستين الخارجية والداخلية في كفتين متقابلتين، ثم يكون النظر فيما يرجح لصالح تمكين الفئة المسلمة في داخل هذه الدول والأقاليم، والعمل بناءً على ذلك، ويحتاج هذا الأمر إلى صمام أمان لعقيدة الفئة المسلمة مداره التمييز بين المداراة الجائزة والمداهنة المحرمة، وهذا يعود بنا إلى التمييز بين الولاء القلبي والولاء العملي كما سنبينه في موضعه لاحقاً بإذن الله.
- **استدامة تعزيز الولاء القلبي من خلال تعزيز الارتباط بقضايا الأمة العالمية التي لا خلاف فيها والقائمة على أساس ميزان العدل؛** ويمكن اعتبار كلٍ من قضية القدس المحتلة وقضية الدعوة إلى الإسلام عنواناً عاماً لهذه الاستدامة الجامعة للأمة الإسلامية لتكون مدداً مستمراً لشريان الولاء القلبي. **فقضية القدس المحتلة تصلح عنواناً جامعاً للعدالة بين الناس بعضهم البعض، وقضية تبليغ دعوة الإسلام إلى الناس كافة تصلح عنواناً**

جامعاً للعدالة مع الله سبحانه وتعالى، فبهذين العنوانين العريضين تبقى الأمة متصلةً روحياً وقلبياً اتصالاً مطلقاً لا يخضع للتضييق والتقدير، في حين يبقى تركيز محور الولاء العملي على الصفة المذكورة أعلاه خاضعاً لمصلحة كل فئةٍ مسلمة حسب واقعها المحلي الخاص بها، والجغرافيا السياسية الخاصة بها، والاتساع الإقليمي المتاح لها، وصولاً إلى المطابقة بين دائرة الولاء العملي ودائرة الولاء القلبي بإذن الله.

- **وأما حراسة ميراث النبوة في أرض الإسلام حيث الصراع المحتدم والفتنة الهائجة المائجة**، فهو التحدي الأكبر في هذه المرحلة، ولعل هذه الساحة تتميز – بسبب طبيعة التوحش التي تمارسها منظومتا ولاية الفقية وولاية السفيه – بالفردية خلافاً لما تقدم بيانه من حال الفئة المسلمة في مجتمعات الكفر الممكّنة للعدالة الاجتماعية في الداخل بما في ذلك القوانين الحامية لحق التجمع البشري.

إن موضوع هذه الحراسة الفردية في أرض الإسلام هو حفظ مادة الدين وإبقاء شعلته متقدة منيرة ما أمكن في خضم هذه العاصفة الهوجاء، ولقد أشارت الآيات التي استفتحنا بها هذه الرسالة عناصر موضوع الحراسة هذه، بنفس القوة التي أشارت إلى طبيعة الدور الفردي وأهميته في مواجهة منظومة الطاغوت الكهني والهرقلي، تأمل قوله تعالى: (**ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ (45) إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْماً عَالِينَ (46) فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ (47) فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنْ الْمُهْلَكِينَ (48) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (49)**[26] ؛ إن الفردية الإيمانية القائمة على حراسة ميراث النبوة ليست مستلزمةً للضعف والخوَرَ البتة، بل إن من يتأمل هذا المشهد، أعني مشهد إرسال موسى وهارون– عليهما السلام – الفَرْدَين الوحيدين إلى مواجهة المنظومة الفرعونية التي جمعت ولاية الفقيه الكهنية وولاية السفيه الهرقلية معاً لَيمثلُ غاية القوة والعنفوان والاستكبار بالحق على منظومة فرعون الكهنية الهرقلية وكل ما حشدته هذه المنظومة من ملأ عظيم، **فما هو سر هذه القوة؟ وما هو سر مقدرة الفرد على التصدي لمنظومة الاستكبار الطاغوتي هذه؟** الجواب: (**ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ**) إنه **ميراث النبوة**، إنها الحجة النقلية العقلية التي تبهت عقول الطغيان وتفضح منظومته على مرأى ومسمع من الملأ الذي تستكبر به هذه المنظومة وتستعلي على الناس، **وقد تكون قوة هذه المواجهة الفردية – الطاغوتية من الشدة بمكان بحيث تستنفذ الفرد في لحظة المواجهة الحاسمة، ولكنه استنفاذٌ أشبه ما يكون بالبرق الخاطف الذي يضيء ظلام العاصفة الهوجاء فينير الكون في لحظة صدق حاسمة تنكسف فيها كل كائنات الظلام**، ويتحسس فيها كل باحث عن سبيل النجاة مكانه وطريقه ليمضي على بينة ونور من الله. إن هذه المواجهة الفردية– الطاغوتية هي مرادف الجهاد في سبيل الله في ساحات المواجهة مع الكفار الأصليين، وهي في ذات الوقت حراسة ميراث النبوة في أسمى صورها، لما فيها من الصدع بالحق وحقن دم الخلق؛ **وكأن العالم الرباني وارث علم النبوة يفتدي**

[26] سورة المؤمنون – 45-49

دماء المسلمين بدمه حين يقوم بهذه المواجهة الفردية الطاغوتية، وهو يعلم أنه يحترق مرةً ليهتدي بإضاءته تلك ألوف مؤلفة من الخلق الذي لبَّست عليهم أمواج الفتنة معالم الطريق.

وتأمل أخي كيف أنك إذا جمعت مشهد العالم المعتزل في الخارج المتفرغ لإقامة ميراث النبوة في مشهد من مشاهد الدنيا، مع مشهد العالم المجاهد في الداخل المتقدم للمواجهة الفردية الطاغوتية لحراسة ميراث النبوة في مشهد مقابل، تأمل كيف أنك بهذا تدرك تكامل منظومة المسلم المجاهد والمسلم المعتزل، وكيف أن كلاً منهما يقوم بدورٍ متممٍ لدور أخيه المسلم، وأنهما في الحقيقة صنوان لا ضدان، هذا يضبط العلم، وهذا يتقن العمل به، والحمد لله رب العالمين.

7.3 العنصر الثالث: التفرق لأجل الاجتماع:

إن الأمة الإسلامية تواجه اليوم صراعاً وجودياً بكل ما تعنيه الكلمة من معنى، فمحاور هذا الصراع اليوم تتمثل في محورين هما:

- **المحور الحسي** باستباحة دماء المسلمين وأعراضهم وأموالهم،
- **المحور المعنوي** باستباحة كل الثوابت والمسلّمَات العقدية والشرعية والأخلاقية للمسلمين

ونحن على يقين بأن هذه الأمة بمجموعها الحسي والمعنوي باقيةٌ ما شاء الله أن تبقى، غير أننا في هذا القرن وهذا الجيل مخاطَبون بشريعة الله سبحانه وتعالى وبسنة رسول الله صلى لله عليه وسلم لتحديد كيفية مواجهة هذا الصراع، **لا لأن بقاء الإسلام متوقفٌ علينا، بل لأن بقاءنا متوقفٌ على الإسلام**؛ تأمل مصداق هذا المفهوم في قوله تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)**[27] ، وقوله تعالى: **(وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ)**[28].

وإن لكل محور من محاور الصراع الوجودي الذي نعاصره اليوم منهجاً لمقاومته والتصدي له، ولا يخفى أن مواجهة الصراع على المحور الحسي تكون بمشاغلة العدو ما أمكن، وأن مواجهة الصراع على المحور المعنوي تكون بحراسة ميراث النبوة بكل ما يمكن. **وهنا مسألة مهمة جداً تتعلق بحراسة مادة الدين، ألا وهي حفظ العلماء**، ففي الحديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:"**إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد،ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يُبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهّالاً، فسُئلوا، فأفتوا بغير علم، فضلّوا وأضلّوا**"[29]، ونحن

---

[27] سورة المائدة - 54
[28] سورة محمد - 38
[29] متفق عليه

إذا اقتصرنا على فهم الخبر من جهة المبنى فإن قبض العلماء يكون بقبض أرواحهم وموتهم كما لا يخفى، ولكن إذا أخذنا الخبر من جهة المعنى فإن أثر اعتقال العلماء وسجنهم وتغييبهم عن عامة المسلمين ليس بأقل من أثر موت العلماء من جهة قبض العلم وحرمان العامة منه، وعليه فإن الذي يتوجه إليه النظر في هذه المرحلة **أن يسعى نفرٌ من العلماء إلى التفرق في البلدان ما أمكن**، حفظاً لوجودهم وتواصلهم الحسي مع شعوب المسلمين، وتفويتاً للفرصة على أنظمة الولايتين الكهنية والهرقلية في انتقاص العلم ودفع الأمة في غياهب الجهل والضلال، والله المستعان. ولست في هذه الدعوة مبتدعاً أمراً بل هي السنة عن صحابة رسول الله ﷺ في حفظ مادة الدين بحفظ أوعيته وهم العلماء، ففي الحديث عن عبد الرحمن بن عوف عن عبد الله بن عباس ﷺ أن عمر بن الخطاب ﷺ خرج إلى الشام، حتى إذا كان بسرغ لقيه أمراء الأجناد أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه، فأخبروه أن الوباء قد وقع بأرض الشأم، قال ابن عباس: فقال عمر: ادعُ لي المهاجرين الأولين، فدعاهم واستشارهم، وأخبرهم أن الوباء قد وقع بالشأم، فاختلفوا، فقال بعضهم: قد خرجت لأمرٍ ولا نرى أن ترجع عنه، **وقال بعضهم: معك بقية الناس وأصحاب رسول الله ﷺ ولا نرى أن تُقدمهم على هذا الوباء**، فقال:ارتفعوا عني، ثم قال: ادعوا لي الأنصار، فدعوتهم فاستشارهم فسلكوا سبيل المهاجرين، واختلفوا كاختلافهم، فقال: ارتفعوا عني، ثم قال: ادع لي من كان هنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح، فدعوتهم فلم يختلف منهم عليه رجلان، فقالوا: **نرى أن ترجع بالناس ولا تُقدمهم على هذا الوباء**، فنادى عمر في الناس: إني مصبّحٌ على ظهر، فأصبِحوا عليه، فقال أبو عبيدة بن الجراح: أفراراً من قدر الله؟ فقال عمر: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة؟! نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله، أرأيت لو كان لك إبلٌ هبطت وادياً له عدوتان إحداهما خصبة والأخرى جدبة، أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله؟ قال: فجاء عبد الرحمن بن عوف وكان متغيباً في بعض حاجته فقال: إن عندي في هذا علماً؛ سمعت رسول الله ﷺ يقول:"إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه"، قال: فحمد الله عمر ثم انصرف[30].

قلت: فالمعنى المقصود من بعض المهاجرين والأنصار وإجماع مشيخة قريش وما اختاره عمر ﷺ اجتهاداً كان حفظ أهل العلم من الصحابة كما قالوا: **معك بقية الناس وأصحاب رسول الله ﷺ ولا نرى أن تُقدمهم على هذا الوباء**، ووافق اجتهادهم سنةَ رسول الله ﷺ نصاً دون أن يبين الحديث علة الأمر النبوي، وما أعنيه هو الاستدلال باجتهاد الصحابة من حيث المقصد الشرعي المطلوب وهو حفظ العلم بحفظ أوعيته، والله أعلم. فالذي يتوجه إليه النظر اليوم في سياق هذه الحرب الشعواء على الدين ومادته وأوعيته وجماهيره – والعلم عند الله– أن على العلماء أن ينظروا إلى مسألة خروجهم من جغرافيا القهر والاعتقال إلى جغرافية الحرية والعدالة المدنية مسألة مصلحة العامة التي ترجح على مصلحتهم الخاصة، وأن يعلموا علم اليقين أن حفظ أنفسهم هو حفظ لمشاعل العلم يهتدي بها أبناء الأمة في فترة الفتنة هذه، فلا يضنوا بأنفسهم على هذه الأمة، ولا يستوحشوا الخروج إلى مَهَاجر المسلمين في الشرق والغرب، فعسى الله تعالى أن يأتي بالفتح أو أمر من

[30] متفق عليه – اللؤلؤ والمرجان – حديث 1434

عنده، فيكون لدورهم في قيادة الأمة وترشيد مسيرتها الأثر الأعظم الذي يؤدون به أمانة العلم حراسةً وأداءً، والله أعلم[31]. هذا بالطبع لمن لم يكن قد رصد نفسه للمواجهة الفرعونية على سنن موسى وهارون عليهما السلام فإن مصلحة بقاء مثل هؤلاء في ساحة المواجهة الكهنية الهرقلية لا تخفى.

نعود إلى الرجلين المجاهد والمعتزل: فقد روى الامام أحمد عن ابن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال:"عجب ربنا عز وجل من رجلين: رجلٌ ثار عن وطائه ولحافه من بين أهله وحبِّه إلى صلاته، فيقول ربنا: أيا ملائكتي، انظروا إلى عبدي ثار من فراشه ووطائه ومن بين حيه[32] وأهله إلى صلاته رغبةً فيما عندي، وشفقةً مما عندي. ورجلٌ غزا في سبيل الله عز وجل فانهزموا، فعلم ما عليه من الفرار وما له في الرجوع، فرجع حتى أُهريق دمه، رغبةً فيما عندي، وشفقةً مما عندي، فيقول الله عز وجل لملائكته: انظروا إلى عبدي، رجع رغبةً فيما عندي، ورهبةً مما عندي، حتى أُهريق دمه"[33]، فإن في هذا الحديث العظيم تقسيماً كيفيّاً لفئتين من الأمة؛

- يمثل الفئة الأولى منها ذلك الرجل الذي يقيم صلاته ويفزع إليها تاركاً راحته وأهله وحيه – أي مجتمعه وشعبه – **دون أن ينخرط في مواجهة عملية مع أعداء الله المحاربين،**
- ويمثل الفئة الثانية ذلك الرجل الذي لا يطيق التخلف عن صف القتال، ثم إذا هو حضر الصف كانت الصولة للعدو وانهزم مَن في الصف من المجاهدين لم تطاوعه نفسه على الانهزام معهم، بل صمد وقاتل حتى قُتل – وهو يعلم أنه يُقتل – **مع أن هذا الانصراف للقتال وتتبع مواضع الموت يصرفه دون شك عن الازدياد من العبادات والنوافل كالصلاة وعن طلب العلم وتبليغه وغير ذلك،**

فكلٌ من الرجلين تفرّغ لعملٍ من أعمال الدين وتفرّق عن أخيه فيه، غير أن **كلاً منهما قد فارق أخاه رغبةً فيما عند الله تعالى، لا رغبةً في ذات المخالفة،** وكلٌ ميّسرٌ لما خُلق له، وإن الله تعالى لَيقيم بالرجل المنصرف لصلاته من شؤون الدين ما لا يقوم به المجاهد الغازي، وإن الله ليقيم بالمجاهد الغازي من شؤون الدين ما لا يقيمه العابد الصائم القائم الحافظ لمادة الدين وعلومه، فكلٌ من الرجلين إذاً متمم لدور اللآخر ومكملٌ له، **فلولا المجاهد ما استطاع المصلي أن يصلي، ولولا المصلي لما كان لجهاد المجاهد معنىً يجاهد فيه،** فتأمل تكامل وروعة هذا المشهد الذي رسمه الرسول ﷺ ومدى استيعابه لتنوع أطياف وقدرات المسلمين، وأثر ذلك في إقامة الدين وحفظ كيان الأمة الوجودي علماً وعملاً، **وتأمل في المقابل مخططات وتوصيات أعداء المسلمين في توظيف هاتين الفئتين ضد بعضهما البعض لأجل تقويض بنيان الأمة وهز ثقة الأمة بهاتين الفئتين.** وإذا أضفنا إلى هذا التمايز والافتراق بين طريق الرجلين ما تقدمت الإشارة إليه من التفرق في الجغرافيا

---

[31] وإن من تمام هذه المسألة ما يقوم بها نفر من المخلصين من نشر علوم هؤلاء باستعمل الوسائط الحاسوبية الحديثة غير أن وجود شخص العالم أمر آخر كما لا يخفى

[32] في رواية ابن حبان والبيهقي : حِبِّه

[33] مسند الإمام أحمد – حديث 3949

السياسية ما بين دار الإسلام الأصلية ودار الكفر الأصلية وما بينهما من دُورٍ مركبة، **حصل لنا من هذين المشهدين المركّبين أربعة أنواع:**

1. معتزلٌ في دار الإسلام
2. معتزلٌ في دار الكفر
3. مجاهدٌ في دار الإسلام
4. مجاهدٌ في دار الكفر،

وإذا تأملنا سعي أعداء الإسلام الدؤوب إلى تجييش كلٍ من هذه الأنواع ضد بعضها البعض، وتوظيف أعداء الإسلام لكل من ولاية الفقيه الكهنية وولاية السفيه الهرقلية للبطش بالنوع الأول والثالث بوجه خاص، توجه النظر إلى أن **واجب المرحلة الفوري يحتم على أبناء الأمة المنتمين إلى أحد هذه الأنواع الأربعة الكف فوراً عن الأنواع الأخرى، والتفرغ إلى إتقان ما أداه اجتهاده إليه من التزام أحد هذه الطرق الأربعة، وخير هؤلاء اليوم من بادر بالكف عن أخيه واحتمل أذى أخيه الذي لم يكف عنه بعد،** والله أعلم.

كما يتوجه النظر إلى القواعد الشعبية المسلمة الحاضنة لأحد هذه الأنواع إلى الكف عن الأنواع الأخرى، والعمل وفق قاعدتين هما:

- **القاعدة الأولى: إذا أحسن الناس فأحسنوا:** فكلما رأينا مسلماً على خير ساهمنا معه في هذا الخير وإن كان متلبّساً بفسق أو بدعة أو معصية، مع تحرير النية إلى قصد إعانته على إحسانه دون إقراره على فسقه أو بدعته
- **القاعدة الثانية: والفتنة أشد من القتل:** فكلما رأينا خطأً أو تجاوزاً من مسلم أحسنّا الظن بقصده، وتبرأنا من خطئه لا منه، ثم وجهنا سهام النقد والشدة على المتطرفين من أعداء الإسلام السابقين إلى شتى أنواع الفظائع والجرائم والإرهاب، مع تحرير النية إلى قصد التنبيه على المنكر الأشد دون إقرار المنكر الأخف.

إن هذه الخطوط العريضة لخطة المواجهة في هذه المرحلة تهدف إلى صد الهجوم على كيان الإسلام وإلى صد الهجوم على مادة الإسلام، وكلما تمكنّا من الكف عن بعضنا البعض، وكلما أحسنّا الظن ببعضنا البعض، كان توفيق الله تعالى لنا في صد هذه الحملة الشعواء، وكلما انشغلنا بتسفيه بعضنا البعض، والنكير على بعضنا البعض كلما محق الله بركة الأمة وجعل بأسها بينها، وكلما وجد العدو الخارجي ثغرةً بعد الأخرى ينفذ من خلالها إلى جسد الأمة، يتحسس السمّاعين لهم، ويوظفهم في إحداث مزيد من الفتنة والتفرق والتشرذم.

ولسائلٍ أن يسأل: وما هو ضمان نجاح هذه الخطة، وكيف السبيل إلى انتظام أفراد الأمة فيها؟

والجواب أن ضمان النجاح متوقفٌ على إخلاص النية والبدء بتعاطي ما تيسر من أسباب نجاح الخطة، وبيان ذلك: أن علامة إخلاص النية في سياق هذه الخطة أن تبدأ بالعمل بها دون أن تنتظر أن يقابلك الناس بذلك، بل تحتسب وتحتمل ما

قد يصيبك من سوءٍ مِن قِبَل الناس، وهذا شديدٌ بادي الرأي لكنه السبيل يا أخي. وأما ضمان انتظام أفراد الأمة بهذه الخطة، فإن مالك قلوب العباد الذي يقلبها كيف يشاء هو الله عز وجل، **ووالله الذي لا إله غيره، لئن أرينا الله منا ما يحب لَيُرِيَنَّا الله ما نحب**، وليس عندي جواب سوى هذا، فأنا لا أدعو إلى تشكيل تنظيمات تفتت الأمة، بل أدعوا إلى صيغ عملٍ واجتماعٍ علميٍ عمليٍ ينتظم فيه عقد الأمة[34]، وفق منهج الله تعالى في الآيات التي تلت ما استفتحنا به الرسالة من آيات حيث قال تعالى: **(يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (51) وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ)**[35].

7.4 العنصر الرابع: التمييز بين الولاء القلبي والولاء العملي:

إذا نظرنا إلى طبيعة المرحلة التي تعصف بالأمة اليوم، وجدنا –كما تقدم – أن طبيعة الجغرافيا السياسية قد أفرزت مفارقةً عجيبة، إذ يجد العلماء أنفسهم في خطرٍ داهم وهم في الجغرافيا التابعة لدار الإسلام، في حين يجدون مستقراً آمناً إلى حدٍ كبير في الجغرافيا التابعة لدار الكفر؛ كما يجد القابضون على الجمر من عامة المسلمين أنفسهم مضطهدين مطارَدين مقموعين مسجونين مفتونين في الجغرافيا التابعة لدار الإسلام الخاضعة لطاغوت الولايتين – ولاية الفقيه الكهنية وولاية السفيه الهرقلية – في حين يجدون مستقراً آمناً وعدالةً اجتماعية إلى حدٍ كبير في الجغرافيا التابعة لدار الكفر؛ وهذا وضعٌ منكوسٌ مخالفٌ لموجبات تقسيم الديار إلى ديار إسلام وديار كفر، ولما كانت الدار إسلاميةً كانت أم كافرة من محدِّدَات الولاء والبراء العملي ومن محددات اجتماع الأمة على بيعة الحاكم المسلم، كان لزاماً أن ننظر في مواضع الاتفاق والافتراق بين معالم الولاء والبراء القلبي والعملي تكيُّفاً مع هذا الواقع الأليم، ووصولاً إلى حال السواء الشرعي الذي تتطابق فيه أحكام الدار مع واقع الدار، وتتطابق لوازم الولاء والبراء القلبي مع لوازم الولاء والبراء العملي، بناءً على القاعدة التالية وهي **أن الأصل والكمال في صورة الولاء القلبي والعملي أن يكونا كاملين متلازمين منعقدين في دار الإسلام على بيعة الإمام المسلم، وأن النقص عن هذه الصورة لا يمكن أن يدور إلا حول موجبات الولاء العملي ومدى تحقق الدار والإمام، وأما الولاء القلبي فلا يكون إلا تاماً**، وهذا كله مما يحتم علينا دراسة منظومة الولاء والبراء دراسة تفصيلية لما تتسع له من نوع انفكاك بن الولاء القلبي والعملي حيث يجوز، ولِما تُبقي عليه من الاتصال بينهما حيث يجب، ولعل هذا مما يندرج تحت القاعدة الفقهية الكلية : "إذا ضاق الأمر اتسع، وإذا اتسع ضاق"، **فكلما ضاق واقع دار الإسلام عن الوفاء بموجبات الدار اتسع أمر الجواز في التحيز إلى دارٍ الأصلُ عدم الانحياز إليها، حتى إذا اتسع الأمر وعاد واقع دار الإسلام محققاً لموجباتها ضاق أمر الجواز وعاد إلى الأصل**، والله أعلم. كما أن على الفئات المسلمة التي اختارت أو اضطرت إلى التحيز إلى دور الكفر لطبيعة الجغرافيا السياسية التي تقدم الكلام عليها أن تميز بين ما يجب التمسك به من

[34] ولنستبدل الصيغ المؤسسية والمراكز البحثية التي تجمع أصحاب الهمم والمهارات المشتركة بالصيغ التنظيمية التي تثير التعصبات والاستقطابات التي مزقت مجتمعاتنا وأحدثت من الاستقطابات ما ساهم في اختراق وحدتنا

[35] سورة المؤمنون – 51-52

مناطات الولاء القلبي وما يجوز إرجاؤه مرحلياً من مظاهر الولاء العملي، والله أعلم. وجواب هذا كله لا يمكن إلا بالرجوع إلى القرآن الكريم؛

قال الله تعالى: **(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَنَصَرُوا أُوْلَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنْ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (72) وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ)**[36]، فهاتان الآيتان تؤكدان على مبدأ براءة المؤمنين من الكفار، وعلى وجوب مباينتهم، **وأن مناط الولاء والبراء صفة الإيمان والكفر فحسب**، وأن الكفار بعضهم أولياء بعض ينصر بعضهم بعضاً، وأنه يحرم على المؤمنين أن ينصروا الكفار ويتولوهم، وبينت الآية أن **المقصد الشرعي العظيم من هذه الأحكام درء المفسدة العظمى المترتبة على مخالفة هذا الحكم ألا وهي وقوع الفتنة في الدين، وحصول الفساد الكبير في الأرض**؛ وهذه الفتنة هي فتنة المؤمنين بصرفهم عن دينهم، وفتنة الكفار بصرفهم عن سماع الدعوة إلى الدين وهم يرون أهل الإسلام يسارعون فيهم وينصرونهم ويتولونهم. وأما الفساد الكبير فحسبك ما تراه اليوم في الأمة الإسلامية وفي الديار الإسلامية من هرج وقتل وتشريد وانتهاك للأعراض وانتهاب للأموال وتدمير حسيٍ ومعنوي للمساجد، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

كما ترسم الآيتان لنا منهجاً عملياً للموالاة الإيمانية بعد أن قررت تمام الموالاة القلبية، **وقد يحدث بحسب التقسيم الجغرافي السياسي للمسلمين نوع افتراق بين الموالاة القلبية والعملية**، فيجدر بنا تدبر معالم الاتفاق والافتراق ما بين الموالاة القلبية والعملية حتى نسترشد بها في سياق هذا الواقع الأليم الذي تعيشه الأمة فتنةً وتهجيراً وتشتتاً في أرجاء المعمورة بعد أن فقدت دار الإسلام صفتها التي تُلجئ المؤمنين إليها، وفقدت دار الكفر بعض صفاتها التي تُلجئ المؤمنين منها، واختلطت بعض الدور لتصبح في حال مركبة لها من صفة دار الإسلام ما يجذب ومن صفة دار الكفر ما ينبذ فتستحق كل حال منها نظراً مفرداً يحقق ميزان المصلحة والمفسدة من البقاء فيها أو الهجرة منها بحسب هذه المعالم والله أعلم.

وقد قسمت الآيتان المسلمين إلى قسمين كبيرين هما:

- الفئة المؤمنة المهاجرة إلى دار الإسلام
- الفئة المؤمنة التي لم تهاجر ولم تنحز إلى دار الإسلام

وأما معالم الموالاة الإيمانية الواجبة – وما يقابلها من معالم الموالاة الكفرية المحرمة – فخمسة: الإيمان والهجرة والجهاد في سبيل الله بالنفس والمال والإيواء والنصرة.

فأما **معالم الولاء القلبي** الذي لا يقبل النقص فهي: موجبات الإيمان والهجرة القلبية،

[36] سورة الأنفال – 72-73

وأما **معالم الولاء العملي** الذي يزيد وينقص بحسب مقتضى الحال وواقع الدار وطبيعة فئة المسلمين فهي: الهجرة العملية والجهاد بقسميه والإيواء والنصرة، مع ملاحظة وجود نوع تداخل بين هذه المعالم.

وأنبه على مسألة مهمة جداً تتعلق بالتداخل ما بين الولاءين القلبي والعملي، ألا وهي **ترسيخ مفهوم الأمة الإسلامية الواحدة في كل الأرض قاطبةً من خلال معالم الولاء القلبي**، لأن هذا يفيدنا في أمرين اثنين:

- أولهما التصدي للمفهوم القُطري والوطني الضيق الذي يوظفه أعداء الإسلام والولايتان الطاغوتيتان الكهنية والهرقلية في تفتيت الأمة الإسلامية،
- والثاني الانتظام التدريجي للديار والتجمعات الإسلامية التي يمكنها تحقيق معالم الولاء العملي فيما بينها تحت مظلة الولاء القلبي الإسلامية العالمية

وسيؤدي هذا التدرج في تحقيق معالم الولاء العملي مع استصحاب إطار الولاء القلبي الشمولي إلى تحقيق التطابق التدريجي ما بين الولاء القلبي والعملي حسب مناسبة الجغرافيا السياسية وصفة الدار التي يتحقق فيها هذا التدرج، ولعلك ترى هذا المعنى في قوله تعالى: **(أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ)**[37] ، وقوله تعالى: **(بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمْ الْعُمُرُ أَفَلا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمْ الْغَالِبُونَ)**[38]، فنقص الأرض من أطرافها إنما هو بظهور حملة ميراث النبوة من أصحاب رسول الله ﷺ ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

نعود إلى ما كنا فيه وهو النظر في قابلية معالم الولاء القلبي والعملي للانفكاك حسب مقتضيات الضرورة، فنقول بعبارة مختصرة **أن على المسلمين في ديار الأرض قاطبةً أن يوحدوا ولاءهم القلبي حول كلمة لا إله إلا الله مُحَمَّد رسول الله، ويوحدوا الهجرة القلبية من كل ما نهي الله عنه من كفر وفسوق وعصيان إلى كل ما أمر الله ورسوله به من الإيمان**. أما مقتصيات ذلك من معالم ومظاهر الولاء العملي كنصرة المسلمين باليد ومدهم بالنفس والمال وإيوائهم فهذا ينظر فيه إلى مقتضى الحال والمصلحة الغالبة لكل طائفة من المسلمين بحسب واقعها من الجغرافيا السياسية والمقاصد المحورية التي تقدم الكلام عليها من جهة حفظ ميراث النبوة وحراستها، ونحذر من الإنكار والخصومة في هذا الباب، ولكن التناصح الصادق والاجتهاد والمناصحة العلمية حسب الأصول المعلومة عند أهل العلم الربانيين.

وينقسم الأمر بالنسبة إلى معالم الولاء العملي إلى قسمين:

- **الأول : الولاء العملي بين أفراد المسلمين في الجغرافيا السياسية الواحدة:** فهذا له الأولوية القصوى لكل فئة من المسلمين بحسب ما يتمكنون منه، وذلك من خلال توظيف القواينين والنظم الوضعية لديهم لتحقيق أكبر قدر

[37] سورة الرعد - 41
[38] سورة الأنبياء - 44

ممكن من الهجرة العملية الداخلية والإيواء والنصرة. ولقد قطع المسلمون في بعض البلاد شوطاً لا بأس به في هذا لسياق.

- **الثاني: الولاء العملي بين تجمعات المسلمين في الجغرافيا السياسية المتعددة**؛ فهذا يُنظر فيه من وجهين هما:
  - **تعدد الجغرافيا السياسية مع وجود إطار جغرافي سياسي إقليمي وضعي:** فيوظف المسلمون ما أمكنهم من الوسائل القانونية لتحقيق معالم الولاء العملي هجرةً وإيواءً ونصرةً، ولعل أوضح مثال اليوم هو الدول الأوروبية والاتحاد الأوروبي، ووالله لئن أحسن المسلمون في أوروبا اليوم إقامة دين الله في أنفسهم ودعوة مساكين أوروبا التائهين في شهوانية المادية الرازحين تحت نير الهلاك الاقتصادي المدمر لَتُهَرْوِلَنَّ أوروبا إلى مساجدهم اليوم بأشد مما هربت منه من كنائسها في الأمس، فأروا الله منكم ما يحب يريكم عجائب ما تحبون. وقل مثل هذه في أمريكا الجنوبية، وفي أفريقيا، ونحو ذلك.
  - **تعدد الجغرافيا السياسية دون وجود إطار إقليمي وضعي جامع** : فهذه التي نرى التريث فيها في هذه المرحلة ما لم يكن قد اشتد عود فئةٍ من المسلمين في جغرافيتهم السياسية الحالية بحيث يمكنهم مد جسور الولاء العملي لفئة من المستضعفين من خلال توظيف قوانين اللجوء والهجرة القانونية، ولا بد من دراسة هذه الأحوال كل على حدة، ولكن المقصود أن هذه الحال هي أوضح ما يكون الانفكاك بين الولاء القلبي والعملي إن لزم ذلك، والله أعلم.

ولئن أخذنا مثالاً من الفقه المتعلق بأحكام الزكاة والقول بوجوب صرفها في البلد الذي تُجبى منه، مع التضييق الحاصل على المسلمين في إرسال أموالهم إلى بلاد تحتاج النصرة العملية بالمال، فلا نرضى بواقع يفضي إلى أن المسلم إما أن يرسل زكاة ماله إلى أقاصي المعمور أو أن يمسك مال زكاته فلا يؤديه وبجواره عائلة مسلمة محتاجة في دار الكفر التي يقيمون فيها، فإن تثبيت المسلمين في دار الكفر على الإيمان ليس بأقل أهمية من تثبيت المسلمين في مكان آخر يفتنون فيه[39]، والله أعلم.

والحقيقة إن تفصيل القول في عناصر الولاء العملي بحاجة إلى تأليف مستقل لكثرة التفريع فيه، وهذا الذي يحتاج المسلمون في كل دار وفي كل جغرافيا أن يرجعوا فيه إلى العلماء العالمين بأحوال تلك الدار إما لكونهم ممن يقيم فيها أو لكونهم ممن درس أحوالها وتعرف إليها، ولا يعدل عاقلٌ أراد الحج أو العمرة بين عالمٍ حافظ لم يحج بيت الله بعد بعالمٍ حافظٍ مقيم في بيت الله الحرام.

[39] لا يفهم من هذا الكلام الإعراض عن النصرة البعيدة إنما المثال لبيان ما نعنيه بانفكاك النصرة العملية عن الولاء القلبي إذا ألجأت إليه الظروف

8. ختام الرسالة :

العالم كله دار الإسلام، والمسلمون أينما حلوا أمة الإسلام...

إن خلاصة ما قدمت في هذه العجالة هو التصدي لمُخرَجات منظومة ولاية الفقيه الكهنية وولاية السفيه الهرقلية ومحرِّكاتِهما الخارجية من خلال التحول بمفهوم الأمة الإسلامية من مفهوم الجغرافيا الضيقة إلى مفهومٍ شموليٍ حركيٍ يلمُّ شملَها وحدةُ العقيدة والولاء القلبي المطلَق، ويحافظ على مرونتها وبقائها الحسي تكيُّف معالم الولاء العملي مع طبيعة الجغرافيا السياسية التي تضم تجمعاتها الفردية والجماعية. **فالدولة الإسلامية اليوم هي كافة أرجاء المعمورة، ويتفاوت وضوح معالم هذه الدولة بتفاوت الكثافة الحسية لمكونات هذه الأمّة بنوعيها؛ المسلم المعتزل لإقامة الدين في نفسه وجماعته، والمسلم المجاهد الذي يحرس هذا الدين في نفسه وجماعته.**

وإذا قام المسلمون بالتحرك الإيجابي البنَّاء في هذا السبيل فإنهم سينالون وعد الله تعالى لهم لا محالة: **(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْفَاسِقُونَ)**[40]، وإنهم سنالون بعد هذا الاستخلاف والتمكين والأمن شرف إقامة معالم التمكين الرباني في الأرض: **(الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنْ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ)**[41]، وإنني والله لأرى خيوط الفجر من بين تلك الغيوم التي تسود مشهد اليوم، وإنني والله لأحدّث نفسي بالصلاة في المسجد الأقصى مطَهَّراً من رجس بني صهيون، وإنني والله لأرى مصداق قول رسول الله ﷺ:" لَيبلُغَنَّ هذا الأمرُ ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مَدَرٍ ولا وَبَرٍ إلا أَدخله اللهُ هذا الدين، بِعِزِّ عَزِيزٍ أو بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللهُ به الإسلام، وذلا يُذلُّ اللهُ به الكُفر"[42]، والله غالبٌ على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

وأخيراً، أنبه القارئ لهذه الكلمات على أن طبيعة الموضوعي الذي تطرقت إليه مما يحتمل النظر في بعض مسائله، ومما يعترض التغيير بعض وقائعه، فما كان من توفيق الله عز وجل فأصبت فيه فله وحده الفضل والمنة على ذلك، وما كان مني اجتهاداً خاطئاً فالله ورسوله منه بريئان، وأنا منه تائب وعنه راجع، فليستغفر اللهَ قارئُ هذه الكلمات لكاتبها ولنفسه، وليظن بهما خيراً، وإلى موعدنا في المسجد الأقصى، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وكتب / وسيم فتح الله

رجب 1440هجرية الموافق شهر آذار 2019 ميلادية

---

[40] سورة النور - 55
[41] سورة الحج - 41
[42] أخرجه أحمد